روائع قصص الخيال العلمي

اختيار وإعداد

راجي عنايت

سفينة الفضاء الملعونة

.... وقصص أخرى



صفحة فارغة

سفينة الفضاء الملعونة

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م
الطبعة الثانية
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م
الطبعة الثالثة
١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

المحتويات

الصفحة

صفحة فارغة

مقدمة

قال أحد النقاد « قصص الخيال العلمي متعة كبرى ، لكنها متعة تخفي وراءها أعماقاً جادّة .. » .

وإذا كانت قصة أو رواية الخيال العلمي لم تلقَ بعد في حياتنا الأدبية ذلك الرواج الذي تلقاه في الدول الأكثر تحضُّراً ، والأبعد تقدماً في تطوّرها العلمي ، فالذي نتوقعه بحكم حرصنا على تقريب المسافة بيننا وبين تلك الدول ، أن نرى في القريب نهضة في ذلك المجال من مجالات التعبير الأدبي والعلمي في آن واحد .

لقد كان اهتمامي بالعلم والفن معاً بحكم دراستي ، وممارستي ، هو دليلي لاكتشاف قصص الخيال العلمي ، والإهتمام به .. كنت أشعر بعد قراءة كل قصة من هذه القصص بمتعة مزدوجة ، متعة أدبية ، ومتعة علمية ، بالإضافة إلى التعرّف على مسار من مسارات التطور العلمي والحضاري ، كما تراه عين الفنان والعالم اعتماداً على الحدس والتخيّل . وقد جعلني هذا أشعر بأننا في العالم العربي أحوج ما نكون إلى متابعة ما يصدر في هذا المجال ، لما فيه من فائدة لجيلنا الحالي والجيل القادم ، أيّاً كانت تخصّصات أفراده . شعرت أننا في أشد الحاجة إلى أن نعلم قبل أن نحلم وأن نحلم قبل أن نضع خطوط تطوّرنا الحضاري .

بهذا الدافع سعيت لإصدار سلسلة « أغرب قصص الخيال العلمي » ، حتى أقدم من خلالها لقارئ اللغة العربية نموذجاً من هذا الفن ، قديمه وحديثه ، كما حرصت على أن تجيء هذه النماذج ممثلة لمختلف أنماط واتجاهات هذا النوع من الكتابة ، حتى أعطي القارىء فكرة عن أبعاده .

وسنرى أن الموضوع الرئيسي في قصص الخيال العلمي ، هو موضوع صراع الإنسان مع ما صنعته يداه في سعيه لتطوير حياته .. الصراع المرير الذي قد ينتهي بانتصاره ، وقد ينتهي بهزيمته .. وهو الإمتداد الحديث لذلك الصراع التقليدي بين البطل الكلاسيكي وقدره المكتوب ، فالتطوّر هو قدرنا الدائم ..

ويجمع نقّاد الأدب على أن أول قصة خيال علمي بالمعنى الدقيق للكلمة ، تعرفها الحركة الأدبية ، كانت تلك القصة التي كتبتها السيدة ماري شيللي ، زوجة الشاعر المعروف بيرسي شيللي ، وكانت تحمل اسم فرانكشتين .. أو بروميثيوس الجديد ، وذلك عام ١٨١٨ ، وهذه القصة تعتبر تطبيقاً نموذجياً لما نقوله ، لأنها قصة الإنسان المتمرّد على الطبيعة الذي يدخل في تحدّيات معها ، فينهزم في النهاية في مواجهة ما صنعته يداه . هذه القصة ، التي يعتبرها النقاد من القصص الذكية المركبة الرائعة ، لم تلق قبولاً من حركة الأدب الإنجليزي باعتبارها « عملاً يتضمّن عناصر من الخيال العلمي » ..

والغريب في الأمر أن هذه القصة لم تجد قبولاً لدى أهل قصص الخيال العلمي أيضاً ، فهم يأخذون على القصة أنها فتحت الباب واسعاً أمام سيل من أفلام الرعب الرخيصة . بالرغم من عدم وجود صلة بين تلك

الأفلام وهذه القصة ..

ومن بعد فرانكشتين ، تدفقت قصص الخيال العلمي ، وتصاعد عدد مطبوعاتها ، وصدر العديد من مجلات قصص الخيال العلمي الدورية ، في أنحاء العالم . وهذا يعني أن الجمهور قد استجاب لها ، وأقبل عليها .

تعتبر قصص الخيال العلمي من أبرز أشكال الأدب في القرن العشرين ، وهي أداة من أدوات التأمُّل الجريء للإنسان في الطبيعة والواقع ، وفي مكانته داخل الكون . وهي تتميز بين ألوان التعبير الأدبي ، بأنها لا تطالب القارىء بأن يسلِّم بوجهة نظر الأديب ويتبنَّى رؤيته .

وقصص الخيال العلمي بالنسبة للحركة الأدبية العالمية المعاصرة ، عقيدة تستند إلى منهج علمي ، منهج نابع من صميم التطّور التكنولوجي الراهن ، والحضارة البشرية المعاصرة ، انها من أشكال الأدب التي تتيح لنا أن نمعن النظر في أحوال الإنسان والإنسانية . إنها تساعد الإنسان على اكتشاف نفسه ، ومعرفة معنى أن يكون إنساناً . إنها خلاصة المواجهة المتبادلة بين الظروف السريعة التغّير ، والإدراك الإنساني بشكل عام .

نحن نقدم في سلسلة «أغرب قصص الخيال العلمي» ، قصصاً لأهم كتّاب هذا النمط الأدبي ، من أمثال آرثر كلارك وإيزاك أزيموف وراي برادبوري وبرترام شاندلر ، آملين أن تساهم في نشر وإشاعة هذا النمط الهام من أنماط التعبير الأدبي ، الذي نحن في حاجة شديدة إليه .

راجي عنايت

صفحة فارغة

مشكلة مع الزمن

« ليست لدينا جرائم كثيرة على المريخ » ، قالها مفتش الشرطة رولينج بحزن ثم استطرد « في الواقع هذا هو السبب الأساسي في عودتي إلى اسكوتلنديارد . إذا بقيت هنا أكثر من ذلك ستضعف خبرتي على مدى الأيام » .

كنا نجلس في استراحة المراقبة ، بالميناء الفضائي (فوبوس) ، في انتظار مركبة الفضاء التي ستنقلنا إلى الأرض . عاد المفتش ليقول « وفي نفس الوقت تحدث هنا بين الحين والآخر حادثة تثير الإهتمام والحماس . وأنت يا سيد ماكار ، كما أعلم تاجر آثار وأعمال فنيّة ، فلا بد أنك سمعت عما حدث في مدينة ماريديان منذ عدة شهور » .

« لا أعتقد أنني أذكر شيئاً كهذا » . قالها باقتضاب الرجل الدقيق الجسم الداكن البشرة ، والذي ظننته لأول وهلة أحد السائحين ، عائد إلى الأرض بعد زيارة المريخ .

عاد المفتش ليقول « لقد حاولنا تكتم الموضوع ، لكنك لا تستطيع أن تحجب مثل هذه الأخبار طويلاً ، لقد حاول أحد لصوص الجواهر القادمين من الأرض أن يسرق أثمن ما في متحف ماريديان . الآلهة سيرين » .

قلت مقاطعاً « ولكن هذا ضرب من العبث ! . انها بلا ثمن .. هذا

أشبه بسرقة لوحة الموناليزا .. » .

قال المفتش بإصرار « لقد حدث هذا أيضاً ذات مرة .. وربما بنفس الدافع .. فهناك بعض هواة جمع الأعمال الفنيَّة الذين هم على استعداد لدفع ثروة كاملة في مقابل شيء مثل هذا ، حتى ولو اقتصرت متعتهم على تأمُّل هذا الشيء في خلوتهم .. ألا توافقني على هذا يا سيد ماكار ؟ » .

أجاب ماكار « هذا حقيقي .. في مجال عملنا يمكنك أن تصادف أنواعاً من المجانين» .

قال المفتش « هذا الشاب واسمه داني ويمر تسلَّم مبلغاً كبيراً من أحد هؤلاء لقاء المهمة .. ولولا سوء الحظ الغريب الذي صادفه ، لكان قد نجح في الإستيلاء على هذا الأثر » .

من مكبرات الصوت في محطة الفضاء ، سمعنا اعتذاراً عن مزيد من التأخير حتى الإنتهاء من الإختبارات الأخيرة لمركبة الفضاء . وفي انتظار الإعلان التالي بالتوجّه إلى مركبة الفضاء ، أخذتُ أستعيد القليل من المعلومات التي أعرفها عن الآلهة سيرين . رغم أنني لم أُشاهد الأصل ، فقد كنت أحتفظ في حقيبة سفري بنسخة مقلّدة من التمثال شأني شأن غيري من السياح ، على هذه النسخة بطاقة تحمل شهادة مكتب آثار المريخ ، تقول إن هذه نسخة بالحجم الأصلي مطابقة تماماً لتمثال الآلهة سيرين الذي تمَّ اكتشافه في منطقة سيرنام سير على يد بعثة الكشف الثالثة عام ٢٠١٢ ميلادية .

والتمثال على ما أثاره من ضجيج وحديث ، عبارة عن شيء صغير لا يتجاوز طوله عشرين سنتيمتراً ، ولو أنك رأيته ضمن أعمال متحف

إلى الأرض صباح الإثنين في أول مركبة فضاء سياحي » .

استطرد مفتش البوليس رولنج قائلاً « في الصباح المبكِّر ليوم السبت ، مضى داني متمهلاً ، يعبر الحديقة الصغيرة ، متجهاً إلى مدينة ماريديان الشرقية حيث يقام المتحف المريخي . وإذا كنت لا تعلم ، فقد اكتسبت المدينة اسمها هذا لأنها تقع على خط طول ١٨٠ بالضبط . وهناك لوحة حجرية كبيرة داخل الحديقة الصغيرة ، تشير إلى أن دائرة الزوال تمر بهذا المكان وهكذا يأخذ السكان صوراً لهم وهم يقفون ، وأحد الساقين في النصف الغربي للكوكب والساق الأخرى على النصف الشرقي .. غريب تعلُّق الناس بمثل هذه الأشياء» .

« أمضى داني اليوم متجولاً في المتحف ، تماماً كغيره من السياح ، الذين يسعون إلى رؤية كل شيء ، حتَّى يستفيدوا بكل قرش دفعوه في رحلتهم . ولكنَّه لم يرحل وقت إغلاق المتحف ، لقد وجد له مخبأً في قاعة مهجورة بالمتحف ، لم تفتح بعد للجمهور ، نتيجة لنفاذ الاعتمادات المالية اللازمة لاستكمالها .. بقي في مكانه إلى منتصف الليل تقريباً ، حتى يتثبَّت من انصراف الجميع ، ثم خرج من مكمنه ، وبدأ عمله» .

قلت مقاطعاً « لحظة من فضلك .. ماذا عن الحراسة الليلية للمتحف ؟ » .

ضحك المفتش ، وهو يقول « يا عزيزي .. ليس لدينا في المريخ مثل هذه الرفاهيات . بل انه لا يوجد حتى نظام للإنذار ، فمن الذي يفكِّر في سرقة كومة من الحجارة ؟.. في الواقع كانت الآلهة محفوظة بعناية داخل علبة من الزجاج القوي الصلب ، حتى لا يمد أحد الزوّار يده إليها

إلى الأرض صباح الإثنين في أول مركبة فضاء سياحي » .

استطرد مفتش البوليس رولنج قائلاً « في الصباح المبكّر ليوم السبت ، مضى داني متمهلاً ، يعبر الحديقة الصغيرة ، متجهاً إلى مدينة ماريديان الشرقية حيث يقام المتحف المريخي . وإذا كنت لا تعلم ، فقد اكتسبت المدينة اسمها هذا لأنها تقع على خط طول ١٨٠ بالضبط . وهناك لوحة حجرية كبيرة داخل الحديقة الصغيرة ، تشير إلى أن دائرة الزوال تمر بهذا المكان وهكذا يأخذ السكان صوراً لهم وهم يقفون ، وأحد الساقين في النصف الغربي للكوكب والساق الأخرى على النصف الشرقي .. غريب تعلّق الناس بمثل هذه الأشياء» .

« أمضى داني اليوم متجولاً في المتحف ، تماماً كغيره من السياح ، الذين يسعون إلى رؤية كل شيء ، حتّى يستفيدوا بكل قرش دفعوه في رحلتهم . ولكنّه لم يرحل وقت إغلاق المتحف ، لقد وجد له مخبأ في قاعة مهجورة بالمتحف ، لم تفتح بعد للجمهور ، نتيجة لنفاذ الاعتمادات المالية اللازمة لاستكمالها .. بقي في مكانه إلى منتصف الليل تقريباً ، حتى يتثبّت من انصراف الجميع ، ثم خرج من مكمنه ، وبدأ عمله» .

قلت مقاطعاً « لحظة من فضلك .. ماذا عن الحراسة الليلية للمتحف ؟ » .

ضحك المفتش ، وهو يقول « يا عزيزي .. ليس لدينا في المريخ مثل هذه الرفاهيات . بل انه لا يوجد حتى نظام للإنذار ، فمن الذي يفكّر في سرقة كومة من الحجارة ؟.. في الواقع كانت الآلهة محفوظة بعناية داخل علبة من الزجاج القوي الصلب ، حتى لا يمد أحد الزوّار يده إليها

ويعبث بها . ولكن ، حتى لو فرضنا أن أحداً سرقها ، فأين سيمضي بها اللص ؟ وأين سيخفيها ؟ .. على التو ، وبمجرد اكتشاف السرقة سيجري سدّ جميع منافذ المدينة ، ليبدأ البحث عن الأثر المفقود .. » .

كان مفتش الشرطة محقاً . فقد كنت أفكر بمنطق ما يحدث على الأرض ، ناسياً أن كل مدينة المريخ عبارة عن عالم مغلق على ذاته تحت غطاء من القوى الكهربائية الصناعية التي تحمي المدينة وسكّانها من التجمّد . وبغير هذا الغطاء للمدن ، وهذه الحماية الصناعية ، يموت السكان في ثوان . وهذا في حدّ ذاته ، يجعل تطبيق القانون سهلاً للغاية ، ولهذا تندر الجرائم على سطح المريخ .

عاد المفتش ليقول « كان داني مزوّداً بعدد من الآلات الرائعة ، بحكم تخصّصه في صناعة الساعات . وأهم أدواته ، كان عبارة عن منشار صغير للغاية ، ليس أكبر من مكواة لحام القصدير ، له سلاح دقيق جداً ، يدور بسرعة مليون دورة في الثانية ، بواسطة الطاقة فوق الصوتية . وهكذا ينفذ هذا السلاح في الزجاج والمعدن ، كما لو كان يعمل في قطعة من الزبد ، محدثاً ثقباً في سمك شعرة الرأس . وكان هذا مهماً في عمل داني ، حيث أنه كان يسعى جاداً ، ألاّ يترك وراءه أثراً لفعله » .

ابتسم رولنج ، وهو يقول « لا ريب أنكم استنتجتم خطّته .. كان ينوي أن يحدث فتحة في قاعدة الصندوق ، ويخرج التمثال الأصلي ، ثم يستبدله بإحدى النسخ المقلّدة التي تباع كهدايا للسياح . وربما كانت تمضي سنتان ، قبل أن يكتشف أحد الخبراء المختصين زيف التمثال المعروض .. مدة كافية لأن يكون التمثال الأصلي قد أخذ طريقه إلى

الأرض واختفى عن أعين الجميع .. خطة محكمة .. أليس كذلك ؟. » .

صمت المفتش بعض الوقت ، ثم قال « لا بد انها كانت مهمة ثقيلة .. العمل وسط ظلام المتحف وآثار ملايين السنين المنصرمة تحيط بك ، بما تتضمن من آثار لم يكشف العلماء بعد عن أسرارها .. وأي متحف على أرضنا ، قد يبدو على هذا القدر والوحشة إذا زرته بعد منتصف الليل .. لكنّه ، سيكون على الأقل .. ماذا أقول ؟.. بشرياً إنسانياً . القاعة الثالثة التي تضم الآلهة سيرين ، ذاخرة بالمعروضات غير السارة للنفس ، لوحات من النحت البارز ، تصوّر بعض الحيوانات الغريبة تصارع بعضها بعضاً ، حيوانات أشبه بالخنافس العملاقة .. التي ما زال علماء الأرض لا يتصوّرون وجودها ، أشجار غريبة قديمة متحجّرة .. إلاّ أن ذلك كله لم يحظ باهتمام داني ، فقد كانت الآلهة سيرين تستولي على عقله تماماً .. تنظر إليه عبر الأجيال الطويلة ، متحدّية قدرته على فهم سرّ وجودها .. تبعث القشعريرة في جسده .. » .

واصل مفتّش الشرطة روايته قائلاً « انهمك داني في عمله ، وأخذ يعالج الصندوق بنفس المهارة التي يبديها صائغ الجواهر ، عندما يتصدّى لتقسيم وتقطيع جوهرة ثمينة .. أمضى الليل بطوله في إحداث الفتحة أسفل الصندوق الزجاجي ، وعند الفجر ، استراح قليلاً ، وهو يضع المنشار إلى جانبه . فما زال أمامه الكثير من العمل ، لكن الجانب الأصعب منه قد انقضى . كان عليه أن يضع النسخة المقلّدة مكان النسخة الأصلية ، في نفس وضعها ، ولهذا كان قد استعدّ ، متزوّداً بعدد من الصور للتمثال الأصلي داخل صندوقه ، حتى يجيء وضع النسخة المقلّدة مطابقاً . ثم

لقد حظي المتحف أخيراً بحارسه الليلي .. خمّنوا من ؟..» .

انطلق الصوت من مكبرات الصوت «على جميع الركّاب أن يستعدّوا للرحلة في ظرف عشر دقائق .. الرجاء الاستعداد بالحقائب اليدوية عند المدخل» .

عندما بدأنا تحرّكنا تجاه المدخل ، لم أستطع أن أمنع نفسي من إلقاء سؤال يحيّرني «وماذا عن الذين دفعوا داني إلى هذه السرقة ؟.. لا بدّ أنّ تمويلاً قوياً كان وراء هذه المحاولة . هل استطعت التوصّل إلى المحرّضين ؟»

أجاب المفتش بلهجة خاصة «ليس بعد .. لقد استطاعوا إخفاء آثارهم بمهارة .. وأعتقد أن داني لم يتجاوز الحقيقة ، عندما قال إنّه لا يستطيع أن يمدّنا بما يقودنا إليهم . لقد قلت لك انني عائد إلى وظيفتي السابقة في اسكوتلانديارد . لكن رجل الشرطة عليه دائماً أن يبقى مفتوح العينين .. بالضبط كتاجر الآثار الفنيّة » . ثم التفت إلى ماكار قائلاً «سيد ماكار .. هل أصابك الدوار من الآن ؟.. يمكنك أن تتناول أحد أقراص دوار الفضاء التي معي .. » .

قال ماكار بجفاء «لا شكراً .. أنا بخير .. » .

كان صوت ماكار متغيّراً ، يكشف عن نبرة عدوانية . كان واضحاً أنه يضيق بصحبتنا أشد الضيق ، بعد القصة التي سمعها من مفتش الشرطة . نظرت إلى المفتش ، فوجدته يقف خلف ماكار ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ذات مغزى ..

وفجأة .. أدركت أنني سأشهد رحلة مثيرة من المريخ إلى الأرض ، يهبط بعدها مفتش الشرطة إلى الأرض ، وبرفقته المحرّك الحقيقي لمغامرة داني ..

لقد حظي المتحف أخيراً بحارسه الليلي .. خمّنوا من ؟.. » .

انطلق الصوت من مكبرات الصوت « على جميع الركّاب أن يستعدّوا للرحلة في ظرف عشر دقائق .. الرجاء الاستعداد بالحقائب اليدوية عند المدخل » .

عندما بدأنا تحرّكنا تجاه المدخل ، لم أستطع أن أمنع نفسي من إلقاء سؤال يحيّرني « وماذا عن الذين دفعوا داني إلى هذه السرقة ؟.. لا بدَّ أنَّ تمويلاً قوياً كان وراء هذه المحاولة . هل استطعت التوصّل إلى المحرّضين ؟ »

أجاب المفتش بلهجة خاصة « ليس بعد .. لقد استطاعوا إخفاء آثارهم بمهارة .. وأعتقد أن داني لم يتجاوز الحقيقة ، عندما قال إنَّه لا يستطيع أن يمدّنا بما يقودنا إليهم . لقد قلت لك انني عائد إلى وظيفتي السابقة في اسكوتلانديارد . لكن رجل الشرطة عليه دائماً أن يبقى مفتوح العينين .. بالضبط كتاجر الآثار الفنيَّة » . ثم التفت إلى ماكار قائلاً « سيد ماكار .. هل أصابك الدوار من الآن ؟.. يمكنك أن تتناول أحد أقراص دوار الفضاء التي معي .. » .

قال ماكار بجفاء « لا شكراً .. أنا بخير .. » .

كان صوت ماكار متغيِّراً ، يكشف عن نبرة عدوانية . كان واضحاً أنه يضيق بصحبتنا أشد الضيق ، بعد القصة التي سمعها من مفتش الشرطة . نظرت إلى المفتش ، فوجدته يقف خلف ماكار ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ذات مغزى ..

وفجأة .. أدركت أنني سأشهد رحلة مثيرة من المريخ إلى الأرض ، يهبط بعدها مفتش الشرطة إلى الأرض ، وبرفقته المحرّك الحقيقي لمغامرة داني ..

لقد حظي المتحف أخيراً بحارسه الليلي .. خمّنوا من ؟.. » .

انطلق الصوت من مكبرات الصوت « على جميع الركّاب أن يستعدّوا للرحلة في ظرف عشر دقائق .. الرجاء الاستعداد بالحقائب اليدوية عند المدخل » .

عندما بدأنا تحرّكنا تجاه المدخل ، لم أستطع أن أمنع نفسي من إلقاء سؤال يحيّرني « وماذا عن الذين دفعوا داني إلى هذه السرقة ؟.. لا بدَّ أنَّ تمويلاً قوياً كان وراء هذه المحاولة . هل استطعت التوصّل إلى المحرّضين ؟ »

أجاب المفتش بلهجة خاصة « ليس بعد .. لقد استطاعوا إخفاء آثارهم بمهارة .. وأعتقد أن داني لم يتجاوز الحقيقة ، عندما قال إنَّه لا يستطيع أن يمدّنا بما يقودنا إليهم . لقد قلت لك انني عائد إلى وظيفتي السابقة في اسكوتلانديارد . لكن رجل الشرطة عليه دائماً أن يبقى مفتوح العينين .. بالضبط كتاجر الآثار الفنيَّة » . ثم التفت إلى ماكار قائلاً « سيد ماكار .. هل أصابك الدوار من الآن ؟.. يمكنك أن تتناول أحد أقراص دوار الفضاء التي معي .. » .

قال ماكار بجفاء « لا شكراً .. أنا بخير .. » .

كان صوت ماكار متغيّراً ، يكشف عن نبرة عدوانية . كان واضحاً أنه يضيق بصحبتنا أشد الضيق ، بعد القصة التي سمعها من مفتش الشرطة . نظرت إلى المفتش ، فوجدته يقف خلف ماكار ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ذات مغزى ..

وفجأة .. أدركت أنني سأشهد رحلة مثيرة من المريخ إلى الأرض ، يهبط بعدها مفتش الشرطة إلى الأرض ، وبرفقته المحرّك الحقيقي لمغامرة داني ..

اللعبة الغريبة

لأن المكان كان يضم القليل من البالغين ، لهذا كان بإمكان الكولونيل بيف هاوتون بقامته الطويلة أن يرى تفاصيل ما يحدث في ذلك العرض . كان الأطفال ومعظم الآباء والأمهات ، يتابعون العرض باندهاش شديد ، أما بيف فقد كان أكثر حكمة وعقلاً من أن يجوز عليه ما يجري .. لقد بقي في مكانه هذا فقط يحاول كشف الخدعة التي تعمل بها هذه الآلة .

ارتفع صوت الشاب الذي يقدّم العرض وهو يلّوح للجمهور بالكتّيب المطبوع ، بألوانه المبرقشة ، وقد فتحه على صفحة يظهر فيها رسماً ملّوناً ، «كل شيء قد جرى شرحه هنا في هذا الكتيّب الصغير ، الذي يتضمّن طريقة الاستخدام . طبعاً تعلمون جميعاً أن المغناطيس يجذب إليه الأشياء ... وأنا واثق أنكم تعلمون أيضاً ، أن الأرض ذاتها مغناطيس كبير ، وهذا هو السبب في أن إبرة البوصلة تشير دائماً إلى الشمال ... أيها الأصدقاء ، فلتعلموا أن اختراعي هذا (قنّاص موجات الفضاء الذّري العجيب) . ، يبقى معلقاً في الفضاء ، معتمداً على تلك الموجات المغناطيسية المنتشرة في الفضاء .. والتي وإن كانت خافية على أبصارنا جميعاً ، إلا أنها تمتد من حولنا .. بل وتخترق أجسامنا .. إن اختراعي الذري العجيب يركب هـذه المـوجات ، كما تركب السفينة موجـات المحيط .. والآن ..

انظروا .. » .

اتجهت إليه جميع الأبصار ، وهو يضع نموذج سفينة الفضاء المبهرج الألوان فوق المنضدة التي أمامه ، ثم يتراجع قليلاً إلى الخلف . كان النموذج مصنوعاً من المعدن المطروق ، وكان من الواضح استحالة طيرانه في الهواء ، بمثل استحالة طيران علب اللحم المحفوظ ، والتي كان الجهاز يشبهها إلى حد بعيد ! .. لم تكن تظهر على السطح الخارجي الملّون للنموذج أية أجنحة دافعة أو نفاثة ، بل استقرّ النموذج كله على ثلاث عجلات مطاطية ، ومن أسفله ، خرج زوج مجدول من الأسلاك المعزولة الدقيقة ، وكان هذا السلك الأبيض يمتد على المنضدة السوداء حتى يتصل بصندوق التشغيل الذي يمسك به الشاب . ولم يكن يحوي صندوق التشغيل هذا سوى مفتاح ، ومصباح صغير جداً يضيء عند التشغيل ، وقرص صغير .

قال الرجل «سأشغّل الآن مفتاح الطاقة ، ليرسل سيّال التيار إلى جهاز استقبال الموجات .. » وسمع الجميع صوت المفتاح ورأوا الضوء في صندوق التشغيل يضيء وينطفئ بإيقاع منتظم . ثم بدأ الرجل في إدارة القرص ببطء وهو يقول «يجب أن نلمس قرص توليد الموجات بكل دقة ، فنحن نتعامل الآن مع القوة التي تحكم عالمنا بأسره !.. » .

صدرت من الجمع صيحة جماعية وهم يرون (قنّاص الموجات الفضائية) يهتز قليلاً فوق المنضدة ، ثم يرتفع ببطء في الهواء . تراجع الرجل إلى الخلف قليلاً وتوالى ارتفاع اللعبة في الهواء أكثر فأكثر ، متراقصة برقة فوق الموجات المغناطيسية الخفية التي تحملها .. وعندما

اقترب أدار القرص مرة ثانية في الإتجاه العكسي ، إنخفضت الطاقة بالتدريج ، فعادت اللعبة إلى مكانها فوق المنضدة .

وقال الرجل وهو يضع لافتة كبيرة على المنضدة تحمل ثمن اللعبة « فقط ١٧ دولاراً و٩٥ سنتاً للمجموعة الكاملة .. الجهاز الذرّي العجيب .. وصندوق اقتناص الموجات .. والبطارية .. بالإضافة إلى نشرة التعليمات الملوّنة ... » .

وبمجرد ظهور لافتة السعر ، تزاحم الجمع وقد تعالى الضجيج .. واندفع الأطفال ناحية الجهاز تصدر عنهم صيحات عالية ، ضاعف من ضوضائها كلام الرجل ... ولكن ما لبث أن انصرف الجميع .. فوقف الرجل في مكانه صامتاً ، وقد كسى وجهه الإنقباض . أنـزل صندوق التشغيل من فوق المنضدة وجلس على حافتها يستريح وهو يتأوّه .. وكان الكولونيل هاوتون هو الوحيد الباقي في مكانه بعد انصراف الجميع .

تقدم الكولونيل قليلاً وهو يسأل الرجل « هل تستطيع أن تخبرني كيف تعمل هذه اللعبة ؟! » . انفرجت أسارير الرجل وهو يتناول واحدة من اللعب التي معه وقال بحماس وهو يفتح الجزء العلوي « لو سمح سيدي وألقى نظرة هنا .. فسيمكنه أن يرى ملف الموجات الفضائية في كـل من جانبي سفينة الفضاء ... » وأشار الرجل بقلم رصاص كان في يده إلى شكلين غريبين من البلاستيك ، يبلغ قطر كل منها حوالى بوصة واحدة .. ملفوف حول كل منها بطريقة عشوائية عدّة لفات مـن سلك نحاسي وفيما عدا هذين الملفين ، كان جوف الجهاز فارغاً .. والملفّان يتصل كل منها بالآخر بواسطة أسلاك . ثم تخرج منها مجموعة أسلاك

تمتد حتى نهاية الجهاز السفلية ، في سلكين معزولين مجدولين يمتدان إلى صندوق التحكّم . .

نظر الكولونيل نظرة حائرة إلى الجهاز ثم إلى الرجل ، الذي تجاهل نظرات عدم التصديق الموجهة إليه وهو يقول «وداخل صندوق التحكّم توجد بطارية ... » قال هذا وهو يفتح جهاز التحكّم هذا ، ويشير إلى بطارية عادية من التي توضع في الأجهزة الكهربائية ، واستطرد قائلاً « يسير التيار من البطارية إلى مفتاح التشغيل ومنه إلى المصباح الصغير ، ومنه إلى مولّد الموجات ..» .

قاطعه الكولونيل قائلاً «هل تحاول إقناعي بأن التيار المتواضع من هذه البطارية التي لا تساوي أكثر من خمسة عشر سنتاً ، يسري خلال هذه الأسلاك الرخيصة يمر على الملفات التي لا معنى لها داخل اللعبة .. إسمع .. لن أدفع ثمانية عشر دولاراً لأحصل على هذه (الكراكيب) التي لا تساوي ستة سنتات .. أريد أن أعرف ما سأشتريه .. » .

احمرَّ وجه الشاب وقال متلعثماً «آسف يا سيدي .. أنا لا أحاول أن أخفي عنك شيئاً .. لكن ، كما يحدث دائماً عند بيع الألعاب السحرية ، لا يمكن كشف السرّ قبل البيع ..» . ثم مال إلى الأمام مقترباً من الكولونيل ، وقال همساً «ومع هذا سأقول لك شيئاً .. هذا الشيء بالثمن الغالي الذي حدّده له صاحبه . لا يجد من يشتريه .. وقد قال لي المدير إن بإمكاني بيع الواحد بثلاثة دولارات فقط إذا وجدت مشترياً .. فإذا رغبت في شرائه بهذا الثمن ؟.» .

قال الكولونيل مقاطعاً «لقد اشتريت يا بني ..» ووضع أمام نظر

الشاب ثلاثة دولارات وهو يقول «سأدفع هذا المبلغ الكبير بالنسبة لهذه اللعبة ، رغم أنني ما زلت لا أعرف كيف تعمل .. والآن قل لي .. حقيقة كيف يطير هذا الشيء في الهواء ؟! » .

تطلّع الشاب حوله بحذر ، ثم قال «خيوط .. أو بمعنى أدق .. خيط أسود يمتد من قمة الجهاز إلى خيّة صغيرة في السقف ، ثم يمتد إلى يدي ، متصلاً بهذه الحلقة التي أضعها حول إصبعي .. وعندما أرجع إلى الخلف .. يرتفع النموذج .. هذا ببساطة هو كل ما في الأمر .. » .

قال الكولونيل وهو يتابع بنظره مسار الخيط الأسود «حقاً .. كل أشكال الإيحاء سهلة .. إذا نجحنا في جذب نظر المتفرج بعيداً عن الحيلة .. ! » . وقال الشاب «إذا لم تكن لديك منضدة سوداء كهذه .. يكفي استخدام قطعة قماش سوداء توضع فوق المنضدة .. ثم يمكنك أن تستخدم الحلق الخشبي لأحد الأبواب في تركيب الخيّة التي سيمر بها الخيط .. فقط احرص على أن تكون الحجرة التي خلفك مظلمة ... » قال الكولونيل مبتسماً « أعطني اللعبة يا بني فأنا خبير في مثل هذه الألاعيب » .

* * *

في لقاء المجموعة الذي يعقد كل يوم ثلاثاء للعب البوكر ، وصل الكولونيل بيف هاوتون يحمل لعبته ، ثم انشغل بتجهيزها للعرض ، وهو يمرّر نشرة التعليمات الملوّنة على الموجودين ، كان هذا اللقاء يضم مجموعة من المختصين في صناعة وتصميم الصواريخ .. وما أن بدأ الكولونيل هاوتون حديثه حتى تضاحكوا وهللوا ، فقال أحدهم « دعني أنقل هذا الرسم الملوّن يا بيف .. فربما ساعدتني فكرة موجاتك المغناطيسية

هذه ، في صناعة الطائرة الجديدة التي أتولى تصميمها !..» . وضحك آخر وهو يقول «بطارية مصباح اليد هذه أرخص من أي وقود آخر ، إنها بلا ريب وقود المستقبل !..» .

وكان الوحيد الذي لم ينطق شيئاً أثناء العرض الذي قدّمه الكولونيل هو تيدي كانر .. فقد كان من هواة الألعاب السحرية ، وكشف وجود الخيوط منذ اللحظة الأولى .. بقي صامتاً في مجاملة الفاهم لأصول مشاهدة الألعاب السحرية ، وارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة ، وهو يرى الموجودين يغرقون في الصمت ، واحداً بعد الآخر ، كلما ارتفع الجسم في الهواء . كان الكولونيل ماهراً في تقديمه للعبة وفي تحريكها . وكاد أن يقنعهم بقصة (قنّاص الموجات الفضائية) قبل أن ينتهي من عرضه . وعندما هبط الجسم على المائدة وأغلق مفتاح صندوق التحكّم ، لم يستطع منعهم من الاندفاع لرؤية هذه اللعبة العجيبة !..

صاح أحد المهندسين بارتياح «الخيط !..» ، وانفجر الجميع في موجة من الضحك .. وقال كبير العلماء الطبيعيين في مشروع الصواريخ مبتسماً «هذا سيئ جداً .. لقد كنت آمل أن أعتمد على (قنّاص الموجات الفضائية) هذا في تسهيل أبحاثنا .. هل تسمح لي أن أطير بصاروخك هذا قليلاً ..!» . قال هاوتون ضاحكاً «تيدي كانر هو صاحب الحق الأول .. لقد لاحظت أنه فهم اللعبة منذ البداية ، بينما كنتم جميعاً تتطلعون إلى ضوء المصباح المتردد .. لكنه لم يتكلم» . فتقدم كانر ، وتناول الحلقة من هاوتون ووضعها حول إصبعه وابتدأ في التراجع ليسحب الخيط الأسود .. فقال هاوتون معاتباً «يجب أن تضغط مفتاح التشغيل أولاً ..»

فقال كانر مبتسماً «أعرف أعرف .. هذا الجانب من اللعبة الذي يعتمد على جذب أنظار الجمهور بعيداً عن الخدعة .. سأجرّب أولاً جذب الخيط ، حتى أتمكن من رفع الجسم وإرجاعه بنعومة .. ثم أبدأ بعد ذلك في تقديم العرض حسب الأصول ..» .

أرجع كانر يده إلى الخلف بنعومة ، وبطريقه تعكس خبرة واضحة دون أن يجذب الالتفات إلى حركته ، إرتفع الجسم من فوق المنضدة قليلاً .. ثم هبط فجأة متدحرجاً على جانبه !..

صاح كانر «لقد انقطع الخيط !..» .

قال هاوتون «لقد جذبته بشدة .. يجب أن تسحبه بنعومة ..» وقام بوصل الخيط المقطوع . «دعني أريك كيف تؤدي هذه الخدعة بمهارة ..» .

وانقطع الخيط ثانية عندما حاول هاوتون ، مما أثار ضحكات الجميع ، وجعل العرق يتصبب على جبينه .. واقترح أحدهم أن تبدأ مباراة البوكر ..

ومع هذا ، فقد كانت هذه هي المرة الوحيدة التي جاء فيها ذكر البوكر تلك الليلة ، ذلك لأنه بعد هذا بقليل ، اكتشف الجميع أن الخيط لا يقوى على رفع الجسم في الفضاء ، إلا إذا كان مفتاح التشغيل قد تمّ تحريكه .. ووصلت كهرباء البطارية ، التي لا تتجاوز ٢,٥ فولت ، إلى ملفات الصاروخ المضحكة !.. وعندما كان يجري قطع التيار ، فإن الجسم يصبح أثقل من أن يُرفع بجذب الخيط .. لقد كان الخيط ينقطع في كل مرة !!

* * *

قال الشاب « ما زال هذا الأمر يبدو لي غير مقنع أو معقول .. لمدة

أسبوع كامل أظل أقطع الطرقات حتى حفيت قدماي ، لأعرض هـذه الصواريخ اللعبة على كل من هبّ ودبّ ، مقدماً استعراضي على مـدى آلاف الأميال .. ثم بعد هذا كله نبيع هذا الشيء مقابل ثلاثة دولارات ، بينما أنا واثق من أن الواحد منه لا بد قد تكلف ما يزيد على المائة دولار ... » .

قال الرجل العجوز « لكن ألم تنجح في بيع عشرة منها ، لأشخاص لا ريب سيهتمون بها ؟ » .

أجاب الشاب « نعم .. أعتقد ذلك .. لقد بعث في يوم واحد لبعض ضباط القوات الجوية ، وكذلك لكولونيل من المسؤولين في مركز الصواريخ. ثم جاء ذلك الرجل الذي أذكر جيداً إننا التقينا به في مكتب تسجيل الاختراعات .. ولحسن الحظ أنه لم يتذكرني .. وأضف إلى هذا ، الأستاذين الجامعيين اللذين تعرفت أنت عليهما .. » .

قال العجوز سعيداً « إذاً فالمشكلة الآن قد خرجت من أيدينا إلى أيديهم .. وكل ما علينا الآن هو أن نجلس في أماكننا بانتظار النتائج .. » .

صاح الشاب «أي نتائج ؟!.. نفس هؤلاء الناس لم يبد عليهم أي اهتمام حينما كنا نقرع أبوابهم بهذا الاكتشاف .. لقد نجحنا في اختراع هذا الملف ، وكان بإمكاننا أن نثبت لأيّ منهم أن هناك تخفيضاً في وزن الجسم يحدث عند تشغيل الجهاز .. » .

قال العجوز مقاطعاً « لكنه تخفيض طفيف .. ونحن لا نعلم كيف يتم .. قد لا يهتم أحد بتخفيض ضئيل في وزن نموذج صغير كهذا .. تخفيض لا يسمح بحمل مولد كهربائي .. ولا يهتم أحد من هؤلاء المشغولين باستهلاك كميات الوقود الضخمـة في دفع السفن الفضائية ، أو يجد

الوقت ليهتم بمجهول ، يفكّر أنه قد اكتشف غلطة طفيفة في قوانين نيوتن ..» .

فقال الشاب وهو يفرقع أصابعه في نفاذ صبر «وهل تظن أنهم سيهتمون الآن ..؟» .

أجاب الرجل بثقة «إنني أعلم جيداً أنهم سيهتمون ، لقد اخترت الخيط بحيث لا يتجاوز في تحمله وزن النموذج . وهكذا سينقطع الخيط إذا حاولت رفع النموذج في الفضاء بمجرد جذبه . ولن يمكنهم أن يرفعوا النموذج ، إلا إذا تمّ تشغيل الملفات . هذا الموضوع سيتسلّط على رؤوسهم . لن يطلب منهم أحداً أن يحلوا هذه المسألة أو يشغلوا أنفسهم بها . لكنها ستالحّ على عقولهم بشدة لأنهم يعلمون مدى غرابة الظاهرة . قد يكتشفوا أن نظرية الموجات المغناطيسية مجرد لغو .. وربما اكتشفوا أنها حقيقة .. مَن يدري ؟.. لكنهم سيمضون جميعاً في التفكير والقلق حول هذه الظاهرة ، قد يعمد أحدهم إلى إجراء التجارب حولها في بدروم منزله ، كهواية بالطبع ، للبحث عن سبب هذا الخطأ في قوانين الجاذبية التقليدية .. وسيصل ، هو أو غيره ، إلى معرفة الطريقة التي تعمل بها هذه الملفات .. وربما إلى طريقة لتحسينها وتطويرها .. » .

قال الشاب بصوت خافت وقد لمعت عيناه «ونحن لدينا براءة الاختراع المسجلة ... » استطرد العجوز بدهشة المنتصر « تماماً .. سيقـومـون بالأبحاث التي ستنقلهم من الأساليب المعقدة الحالية لقذف الأجسام إلى الفضاء ، إلى مجال جديد .. مجال الاندفاع الحقيقي في الفضاء .. » .

وقال الشاب وما زالت الالتماعة في عينيه «وبعلمهم هذا سيحقّقون

لنا الثراء .. بمجرد أن تنتقل الفكرة إلى مجال التصنيع ..» .

قال العجوز وهو يربت على كتف الشاب «سنصبح أغنياء يا بني .. صدّقني .. لن تستطيع أن تتعرَّف على هذا العالم القديم .. بعد عشر سنوات من الآن !..» .

البحيرة

ارتفعت الموجة لتعزلني عن العالم بأكمله .. عن الطيور في السماء .. الأطفال على الشاطئ .. أمي على الرمال . كانت هناك لحظة صمت خضراء .. ثم سلّمتني الموجة الثانية إلى السماء ، إلى الرمال ، إلى صياح الأطفال ، خرجت من البحيرة ووجدت العالم بانتظاري ، لم يختلف ولو قليلاً عن الصورة التي تركته عليها .

مضيت أعدو على رمال الشاطئ ، أسرعت أمي تحتويني بمنشفة ذات وبر طويل وهي تقول « قف عندك حتى تجف .. » .

وقفت في مكاني ، أراقب الشمس وهي تجفّف قطرات الماء فوق ذراعي ، لتنتشر في مكانها تلك البروزات الدقيقة العديدة ، التي تشبه ما نراه على جلد الدجاج .. قالت أمي « الريح بدأت تشتد .. ضع عليك سترتك .. » فقلت لها « إنتظري حتى أرى هذه البروزات التي على جلدي .. » صاحت أمي متوعدة « هارولد ! » .

ارتديت سترتي ، ورحت أراقب الأمواج وهي ترتفع عالياً ، لتهبط ثانية وهي تزحف على رمال الشاطئ .. في حركات رشيقة .. وبشكل متعمد فيه إصرار وفخامة . حتى الرجل السكران لم يكن بإمكانه أن يترنح ويتمايل بمثل هذه الرشاقة والفخامة التي كانت تتمايل بها الأمواج ..

كنا في سبتمبر . في الأيام الأخيرة منه والتي تسود فيها كل الأشياء ، مسحة من الحزن دون سبب واضح . وكان الشاطئ يمتد طويلاً مقفراً ، لا يظهر عليه سوى ستة أشخاص ، وقد توقف الأولاد عن التراشق بالكرة ، فقد جعلتهم الريح أميَل إلى الحزن بشكل ما . كانت الريح تصفُّر بطريقتها الخاصة ، وقد جلس الأولاد شاعرين بالخريف الذي يزحف على امتداد الشاطئ .. لقد أسدلت الأغطية على أكشاك السجق ، لتخفي وراءها كل المستردة والبصل وروائح اللحم التي سادت الصيف الطويل المرح . لقد بدت كسلسلة من الأكفان التي تلف الصيف المنصرم . تصاعد اندفاع الريح فوق الرمال ، فتحركت لتمحو آثار الملايين من الأقدام التي تراكمت فوقها على مدى يوليه وأغسطس ، وهكذا ، لم يبق على سطح الرمال في شهر سبتمبر سوى آثار حذاء التنس المطاطي الذي أرتديه .

ارتفع ستار من الرمال ليحجب الأراجيح التي أقيمت على الجانب الآخر من الطريق والتي تغطيها قطع القماش الثقيل ، وقد تجمدت أحصنتها الخشبية وسط الهواء ، معلقة في تلك القضبان النحاسية ، كاشفة عن أسنانها .. وقد صمتت موسيقاها ، فيما عدا صوت الريح التي تصفر بين أغطية القماش السميك ..

وقفت هناك ، كان الجميع في مدارسهم .. أما أنا فلم أكن قد ذهبت إلى المدرسة بعد ، غداً سيمضي بي القطار غرباً عبر الولايات المتحدة الأمريكية . لقد أقبلنا أنا وأمي إلى الشاطىء في زيارة أخيرة قصيرة .

سادني شعور كثيف بالوحدة ، جعلني أرغب في الانفراد بنفسي . قلت لأمي « ماما .. أريد أن أعدو قليلاً على رمال الشاطئ .. » أجابت

« كما تحب .. ولكن عجِّل بالعودة .. ولا تقترب من الماء .. » .

عدوت .. والرمال تنسحب خلف قدمي .. والرياح تحملني . يعلمون جميعاً كيف يحدث ذلك ، عندما نعدو ، والذراعان تمتدان إلى جانبي الجسم ، فنشعر بالرياح وهي تتلاعب بين الأصابع كأنها نسيج رقيق .. كأنها الأجنحة .. أخذت صورة أمي تتصاغر كلما ابتعدت عنها .. وما لبثت أن تحولت إلى بقعة بنية صغيرة .. وأصبحت وحيداً ..

كانت تجربة الوحدة هذه أمراً جديداً على صبي في الثانية عشرة من عمره ، تعوَّد طوال حياته على وجود الناس من حوله .. ولم يكن له من سبيل لينفرد بنفسه إلا أن يعتمد على خياله .. فالحياة تكون دائماً مليئة بالكبار الذين يحيطون بالصغار ، ويلقِّنوهم دائماً ماذا يفعلون ، وكيف يفعلون ذلك ، ويصبح على الصبي أن يهرب بخياله ، حتى ينفرد بنفسه في عالمه الخاص .

وهكذا .. أصبحت الآن وحيداً بالفعل .

اقتربت من الماء ، وجعلتها ترطب جسدي .. حتى بطني . دائماً يحدث هذا ، وفي وجود الآخرين ، لم أكن أجرؤ على النظر ، أو الإقتراب من هذه البقعة ، أو أن أبحث حولي وأنادي ذلك الإسم الخاص . لكن الآن ...

الماء يبدو كالساحر . ينشر جسمي إلى نصفين .. كنت أشعر أنني إنقسمت إلى نصفين ، نصفي الأسفل كالسكر .. يتحلَّل ويذوب في الماء . الماء بارد ، وفجأة أقبلت موجة رشيقة جداً تتهادى ، ثم ترتمي على الشاطئ كنسيج من المخرمات الرقيقة .

ناديت باسمها ، عشرات المرات ذلك الإسم «تاللي .. تاللي .. أوه .. تاللي !.. » .

عندما تكون صغيراً ، فإنك تتوقع دائماً إجابة على ندائك ، تشعر أنه أيّاً كان ذلك الذي تفكّر فيه ، يمكن أن يصبح حقيقة . وفي بعض الأحيان لا يبدو هذا الشعور خاطئاً .

كنت أفكّر في تاللي ، وهي تعوم في الماء أثناء شهر مايو الماضي ، بخصلة شعرها الشقراء التي تتدلى خلف رأسها كذيل الحصان . كانت تضحك .. وكانت أشعة الشمس تلمع على كتفي الفتاة ذات الإثني عشر ربيعاً . كنت أفكر في الماء عندما سكنت حركته .. وفي عامل الإنقاذ الذي اندفع إلى الماء ، وفي صرخات والدة تاللي .. وكيف أن تاللي لم تعد ثانية !.

لقد حاول عامل الإنقاذ أن يحضّها على العودة ، لكنها لم تعد . عاد إلى الشاطئ خالي الوفاض إلا من الأعشاب البحرية التي تعلّقت بأصابعه الكبيرة .. أما تاللي فقد راحت .. لن تعود لتجلس إلى جواري في المدرسة بعد اليوم ، أو تتبادل معي الكرة في الشارع المجاور خلال الليالي الصيفية . لقد مضت بعيداً جداً ، ولن تسمح لها البحيرة بالعودة ثانية .

والآن .. في هذا الخريف الموحش .. وتحت هذه السماء العملاقة ، وأمام هذه المياه الهائلة ، وعلى امتداد هذا الشاطئ الذي لا نهاية له ، قدمت إليها للمرة الأخيرة .. وحيداً . ناديت باسمها مرات ومرات .. تاللي .. أوه .. تاللي ..؟.

وقد أخذت الرياح تمر بنعومة فوق ذراعي ، بنفس الطريقة التي

تمر بها الرياح على فوهة محار البحر ، لتفرغ فيها الهمسات . بدأ ماء البحيرة في الارتفاع ، فغمر صدري وشيئاً فشيئاً أحسست بالرمال تهبط تحت قدمي .

«تالي ..عودي ثانية يا تالي ..» .

كنت في الثانية عشرة من عمري فقط .. ولكني كنت أدرك كم أحبها . كان ذلك الحب الذي يتدفق قبل أن تتطرق دلالات الجسد أو الأخلاق .. ذلك الحب الذي لا يمكننا أن ندينه .. وهل ندين الريح والبحر والرمال عندما تتقارب وتتلاحم في تماذج أبدي ؟! . كان حبنا ينسج خيوطه من كل الأيام الطويلة الدافئة التي أمضيناها معاً على الشاطئ ، والأيام الهادئة المليئة بالمهمات ، أثناء دراستنا في المدرسة . وكل أيام الخريف الطويلة في السنوات التي مضت ، عندما كنت أحمل عنها كتبها ونحن في طريق عودتنا من المدرسة إلى البيت .

تالي .. ! .

ناديت إسمها للمرة الأخيرة .. وسادتني رعشة .. شعرت بالماء على وجهي ، ولم أدر كيف وصل إليه ، فالأمواج لم تكن بهذا القدر من الارتفاع .

استدرت وعدت إلى رمال الشاطئ .. وبقيت في مكاني لمدة نصف ساعة ، آملاً أن أحظى ولو بنظرة خاطفة ، بإشارة ، بشيء ولو صغير من تالي ، حتى أتذكرها به . ثم ركعت وبنيت قصراً من الرمال ، مجتهداً في أن يبدو جميلاً ، بنفس الطريقة التي شيدت بها قصور الرمال العديدة مع تالي . لكن هذه المرة ، لم أنجح سوى أن أقيم نصف قلعة

فقط .. ثم نهضت .

«تالي .. إذا كنت تسمعيني تعالي هنا .. وأكملي بناء النصف الثاني من القصر ! » .

سرت مبتعداً ، قاصداً تلك البقعة الصغيرة التي هي أمي ، زحفت موجة على الشاطئ ، فأذابت قصر الرمال في دوائر متعاقبة ، وحوّلتها شيئاً فشيئاً إلى رمال ناعمة كما كانت من قبل .

وفي صمت ، مشيت على امتداد الشاطئ .

ومن بعيد أتاني صوت بدا وكأنه حركة الأراجيح ، لكنه كان صفير الرياح .

* * *

في اليوم التالي ، مضيت مبتعداً بالقطار .

القطار له ذاكرة ضعيفة ، إنه عاجلاً ما يلقي خلف ظهره بكل ما يمر به . إنه ينسى حقول القمح في ولاية الينوى ، ينسى أنهار الطفولة ، الكباري ، البحيرات ، الوديان ، الأكواخ ، الآلام والأفراح .. إنه يدفع بها جميعاً ، وبسرعة شديدة ، إلى الوراء ، لتسقط خلف الأفق . أطلت عظامي ، وكسوتها باللحم ، وبدّلت عقلي الصغير بعقل أكبر ، وألقيت بملابسي التي لم تعد تناسبني ، وانتقلت من المدرسة الإبتدائية إلى الثانوية ثم إلى الكلية . ثم كانت تلك المرأة التي عرفتها في ساكرامنتو . عرفتها لزمن طويل ، فتزوجنا ، وعندما بلغت الحادية والعشرين من عمري ، كنت قد نسيت كيف يبدو الشرق .. اقترحت مرجريت أن نمضي إلى الشرق لتمضية شهر العسل المؤجل .

وكما تفعل الذاكرة ، بمضي القطار في الإتجاهين المتعاكسين . ليستطيع القطار أن يعيد إليك كل الأشياء التي كنت قد تركتها خلفك قبل سنوات عديدة .

بحيرة بلاف ، بتعدادها البالغ عشرة آلاف نسمة ، أقبلت من جوف السماء ، كانت مرجريت تبدو أنيقة بملابسها الجديدة الرقيقة ، أخذت تراقبني ، وأنا أستشعر أيامي القديمة تتجمع لتدفع بي ثانية إلى عالمي القديم . تعلّقت بذراعي بينما كان القطار ينزلق إلى محطة بلاف ، وحقائبنا تخرج منه .

هذه السنوات العديدة وما تفعله في وجوه الناس وأجسامهم ! . عندما سرت معها عبر المدينة ، لم أستطع أن أتعرّف على أحد فيها . كانت هناك بعض الوجوه التي تحمل أصداءً ، أصداء الخيام ، والمقطورات ، ووجوه ترتسم عليها ضحكات خافتة من أثر حجرات الدراسة المغلقة ، وبفضل الأراجيح المعدنية التي تتأرجح صاعدة هابطة . سرت ، وتطلّعت ، وشحنت داخلي بكل تلك الذكريات ، التي راحت تتجمّع كما تتجمع أوراق أشجار الخريف تمهيداً لحرقها .

امتدت إقامتنا لأسبوعين فقط ، سعينا خلالهما إلى زيارة كل الأماكن القديمة . غمرتني سعادة طارئة ، وشعرت أنني أحب مرجريت حباً عميقاً . أو على الأقل ، هكذا تصوّرت .

وفي أحد الأيام الأخيرة من زيارتنا ، مضينا معاً إلى الشاطئ . لم يكن الشاطئ خالياً بالصورة التي تركته عليها ذلك اليوم منذ سنوات طويلة ، وإن كانت معالم الانسحاب الأولى من الشاطئ قد بدأت تظهر . وجمهور

الشاطئ قد بدأ يتضاءل ، والعديد من أكشاك الطعام قد أغلقت ..
والرياح ، كما هي عادتها ، كانت تنتظر هناك ، تغني لنا أنشودتها ..

كدت أرى أمي جالسة على الرمال كما كانت تفعل . وسادني مرّة أخرى شعور بالرغبة في الانفراد بنفسي . لكني لم أكن أستطيع أن أتجاسر معلناً هذا أمام مرجريت . لقد ظللت متأبطاً ذراعها .. وانتظرت .

كان النهار قد أوشك على الانتهاء . وقد عاد أغلب الصغار إلى بيوتهم ، وبقي عدد قليل من الرجال والنساء تحت أشعة الشمس المختلطة بالرياح .

أقبل قارب الإنقاذ حتى استقرَّ على الشاطئ . وخرج منه عامل الإنقاذ ببطء يحمل شيئاً بين ذراعيه . تجمدت في مكاني .. حبست أنفاسي ، وقد سادني شعور بأنني قد عدت صغيراً .. في الثانية عشرة من عمري .. صغيراً جداً ، وخائفاً جداً ، وسمعت عويل الرياح . لم أعد أرى مرجريت ، كنت لا أرى سوى الشاطئ ، وعامل الإنقاذ الذي بدأ يخرج من القارب حاملاً كيساً رمادياً بين ذراعيه .. لم يكن الكيس يبدو ثقيلاً .. وقد اكتسى وجه العامل بلون رمادي كلون الكيس .

«إبقي هنا يا مرجريت ..» قلتها ، ولم أكن أدري لماذا قلتها .

سألت «لكن .. لماذا ؟.» .

قلت بتصميم «فقط إبقي هنا .. هذا هو كل ما في الأمر ..» .

مضيت أسير ببطء على الرمال حيث يقف عامل الإنقاذ . فنظر إليَّ ..
سألت «ما هذا ؟» .

ظل عامل الإنقاذ ينظر إليَّ لفترة طويلة ، وبدا كأنه عاجز عن النطق .
وضع الكيس الرمادي على الرمال ، وأخذ ماء البحيرة يوسوس مقترباً

ومبتعداً عنه .

سألت بإلحاح «ما هذا ؟» .

قال عامل الإنقاذ بهدوء «غريب !..» .

إنتظرت . استطرد بصوت ناعم «غريب .. أغرب ما رأيته .. لقد ماتت منذ زمن طويل !..» وجدت نفسي أعيد ترديد كلماته .

أومأ الرجل قائلاً «عشر سنوات ، أستطيع أن أقول هذا .. لم يحدث أن غرق أحد من الأطفال هذا العام .. ومنذ عام ١٩٣٣ غرق اثنا عشر طفلاً ، لكننا عثرنا عليهم جميعاً قبل أن تمضي بضع ساعات على غرقهم .. جميعهم فيما عدا واحدة .. أنا أتذكر الآن . هذا الجثمان يا إلهي .. لا بد أنه قد مضت عليه عشر سنوات في الماء !!..» .

أخذت أحدق في الجوال الرمادي الذي بين ذراعيه ، وقلت «افتحه» .. لا أدري لماذا قلت ذلك .. وارتفع عويل الرياح .

عبث الرجل في الجوال متردداً ، فصحت فيه «أسرع أيها الرجل .. وافتحه !!» .

قال «أعتقد أنه من الأفضل ألا أفعل ذلك ..» ثم لا بد أنه رأى نظرتي وتعبير وجهي فقال متلعثماً «كم كانت صغيرة هذه الفتاة ..» .

فتح جانباً صغيراً من الجوال .. وفي ذلك كانت الكفاية ..

أصبح الشاطئ مهجوراً . كانت فقط هناك السماء ، والرياح ، والماء ، والخريف المقبل بكل وحشته ، وألقيت نظرة عليها في الجوال .

قلت شيئاً ورحت أكرره . إسم . راح عامل الإنقاذ ينظر إليَّ . سألته

«أين وجدتها ؟» أجاب «هناك بعيداً عن الشاطئ ، في هذا الإتجاه ، حيث الميـاه الضحلـة . لقـد مضى عليها زمـن طويل طويل .. أليس كذلك ؟ ! » .

هززت رأسي « نعم .. هذا صحيح .. يا إلهي .. نعم هذا صحيح » .

فكّرت .. الناس يشبّون . أنا قد كبرت ، ولكنها لم تتغيّر ، إنها ما زالت صغيرة .. ما زالت ضئيلة . الموت لا يسمح بالنمو أو التغيّر . ما زالت تحتفظ بشعرها الذهبي .. ستبقى إلى الأبد صغيرة .. وسأحبها إلى الأبد .. يا إلهي ، سأحبها إلى الأبد .

ربط عامل الإنقاذ طرف الجوال .

بعد لحظات كنت أسير على امتداد الشاطئ وحيداً . ثم توقّفت ، ونظرت إلى شيء في البحيرة ، وقلت لنفسي . هنا وجد عامل الإنقاذ جسدها . وبالقرب من نهاية ماء البحيرة ، وجدت قصر الرمال .. بالتحديد نصف قصر الرمال . بالضبط كما تعودت أنا وتاللي أن نبنيه .. هي النصف ، وأنا النصف الآخر .

في البداية استغرقني تأمّل نصف قصر الرمال ، ثم ركعت بجواره .. رأيت آثار الأقدام الصغيرة القادمة من اتجاه الماء إلى الشاطئ ، ثم العائدة إلى الماء مرة ثانية بلا عودة ...

هنا .. عرفت ..

قلت «سأساعدك على إكماله» .

وهو ما فعلت .. أكملت بناء النصف الثاني من القصر ببطء شديد .

ثم نهضت ، واستدرت ، ومضيت في سبيلي ، حتى لا أرى قصر الرمال وهو يتهدم بتأثير الأمواج الزاحفة ، كما تتهدم كل الأشياء . وظللت أسير على امتداد الشاطئ .. حيث تجلس امرأة غريبة تبتسم لي وتسمى مرجريت ...

سفينة الفضاء الملعونة

اندفعت سفينة الفضاء مخترقة درب النجوم السوداء ، متجهة نحو مدار الكوكب الثالث في رحلة العودة إلى الأرض . وجلس دونالد شافر يحدّق في لوحة القيادة ، وقد اكتسى وجهه لوناً رمادياً ، ثم انتقل ببصره إلى خرائط الفضاء ، وقد سرت في جسمه رعشة غريبة .

وسمع صوت الباب الصغير لكابينة القيادة يفتح ، ورأى سكوت بجسمه الطويل وشعره الأشقر يملأ فراغ الكابينة .. قال سكوت وهو يضع يده على كتف دونالد «لقد اجتزنا أسوأ ما في الرحلة يا دوني .. واجتزنا ذلك المنخفض الملعون .. » قال هذا وهو يتطلّع إلى النقطة الحمراء الصغيرة التي تلمع على زجاج لوحة القيادة ، وتبدو مبتعدة عن مسار سفينة الفضاء .

«أتمنى لو كنت الآن في بيتي» ، قالها دونالد باكتئاب . فضحك سكوت قائلاً « لست الوحيد .. أنت وباقي الثمانية .. لا تقلق أيها الفتى ، فنحن في الطريق .. لم يبق سوى أسبوع واحد .. و .. » . قاطعه دونالد بصوت يتسم بالإلحاح « أتمنى لو أني في بيتي الآن » . أخذ الفتى نَفَساً طويلاً ، وسادت جسمه رعشة لا تخطئها العين . ضاقت عينا سكوت وقال بصوت رقيق «دوني .. ماذا بك أيها الفتى ؟؟.. »

همس دونالد قائلاً « أنا مريض .. أرجوك يا سكوت استدعِ لي الطبيب .. أنا مريض جداً » . واهتز جسمه برعشة جديدة ، ثم فقدَ توازنه وانكفأ على اللوحة التي أمامه .

أسرع إليه سكوت يسنده ، وحمله ليبسط جسمه على أرض الكابينة وهو يقول « لا تخف سأسرع باستدعاء الطبيب » . غير أن دونالد انثنى على نفسه في نوبة سعال وارتعاش وقد ازرقّ وجهه ، والتوى ظهره في تشنج مفاجىء ، ثم بشكل مفاجىء أيضاً خمدت حركته ..

اندفع سكوت عبر الغرفة ، وتناول سماعة التليفون صائحاً « هنا غرفة الملاحة .. أسرعوا بإرسال الطبيب أعتقد .. » . واتسعت عيناه وهو ينظر إلى الجسد الممدود أمامه ثم قال « أعتقد أن زميلاً قد مات لتوّه !.. » .

* * *

جلس الدكتور كرادفورد مضطجعاً على مقعده ، وقد بسط ساقيه الطويلتين أمامه ، وأخذ يحملق في الفضاء خارج السفينة من الطاقة الموجودة في غرفته . كان قد مضت عليه في جلسته أكثر من ساعة ، وأصابعه الاسطوانية تعبث في حركات عصبية بالبطاقات الرمادية ، يدخّن ويفكّر ، فلأول مرة في رحلته الطويلة هذه يشعر بالتعب والوحدة والخوف .

لقد كان إطلاق تعبير « غير ناجحة » ، على رحلتهم هذه ، يتضمن الكثير من المجاملة . فبعد كل الترتيبات التي تمت لإنجاح هذه الرحلة ، وبعد شهور من التوقعات والإثارة ، جاءت نتائج الرحلة مخيّبة للآمال . فقاعة هواء تبددت دون مجد أو اكتشاف أو أي شيء .. حتى وقع

ما تم منذ ساعة مضت .

تطلّع دكتور كرادفورد إلى البطاقات التي في يده ، منذ ساعة جاء بها مساعده جونسون ، يلهث من فرط الإثارة ، بعد عدوه السريع عبر الطرقات ، من المعمل حتى حجرة الطبيب ، أما الدكتور كرادفورد ، فما ان اطّلع على ما في هذه البطاقات ، حتى أحسّ بالخوف يعصر أمعاءه

فجأة هبّ كرادفورد ناهضاً ، واتجه إلى حجرة ربان السفينة . ارتسمت الدهشة على وجه الكابتن روبرت جيف المستدير الأسمر ، وهو يرى الطبيب يقف عند مدخل الحجرة يثني قامته حتى لا يرتطم رأسه بأعلى فتحة الباب . سأل الكابتن «ماذا حدث ؟» . قال الطبيب مهموماً « لدينا متاعب يا بوب .. » . ارتفع حاجبا الربان وقال بسخرية « متاعب ؟ .. بعد هذه الرحلة ؟ .. لا تكن سخيفاً . أي نوع من المتاعب ؟ .. »

قال الطبيب مقطباً «لدينا رجل غير عادي داخل هذه السفينة !..» فضحك الربان قائلاً بمرارة «بل لدينا داخل هذه السفينة ثمانية .. وما كان يمكن أن نختار أقل من هذا لرحلة مثل هذه» .. قاطعه الطبيب «لا أقصد إلى هذا .. لدينا رجل في سفينتنا هذه ، يتجوّل عفياً بكامل صحته ، كان المفروض أن يكون ميتاً » . قال الربان « غريباً أن يصدر هذا القول من طبيب .. ماذا تقصد ؟ »

حرك كرادفورد البطاقات الرمادية أمام وجه الربان وهو يقول « هنا تجد كل شيء .. هذه هي تقارير المعمل .. كما تعلم لقد حرصت على

إجراء فحوص طبية كاملة على كل من معنا في هذه الرحلة بعد إقلاعنا من كوكب الزهرة .. إجراء طبيعي للتأكد أننا لم نلتقط أي ميكروب غريب عن طريق الأفراد الذي قاموا برحلات الاستطلاع على أرض ذلك الكوكب .. وبالطبع أجرينا فحوصاً على عيِّنات من دماء الجميع .. » . نفث جيف دخان سيجارته بعصبية وهو يتطلَّع إلى الطبيب الذي واصل حديثه قائلاً «لدينا واحد وثمانون شخصاً داخل هذه السفينة أثبتت الاختبارات سلامتهم الكاملة، فيما عدا واحد ظهرت عليه أعراض مختلفة بعض الشيء . واحد كانت حالته طبيعية جداً فيما عدا اختفاء السكر من دمه تماماً» . ضرب الطبيب صفحة المكتب بالبطاقات التي في يده وهو يقول مؤكداً «لا أثر ولو طفيف للسكر في دمه !!..» .

تجمدت ملامح الربان جيف ، واعتدل في جلسته وهو يقول «انتظر لحظة .. أنا لست طبيباً .. ولكنني أعلم أن .. » فقاطعه الطبيب قائلاً « إن الإنسان لا يمكن أن يعيش بلا سكر في دمه .. أنت على حق .. لكن الأمر لم يقتصر على هذا .. لقد أجرينا بعد ذلك فحصاً على نسبة الكرياتنين في الدم وهو مادة تنتج من تمثيل البروتين . هذه المادة إذا وصل تركيزها في المائة سنتيمتر المكعب من الدم إلى عشرة مليجرامات يصاب المريض باضطرابات .. وفي حياتي لم أشاهد حالة واحدة ارتفعت فيها نسبة التركيز على ٢٥ مليجراماً ، سوى حالة واحدة مات فيها الشخص» . صمت الطبيب للحظة يمسح حبة عرق على جبينه «لقد بلغت نسبة التركيز عند زميلنا ١٣٥ مليجراماً ..» .

مال جيف على مكتبه ، وتناول بطاقات المعمل وأخذ يتأملها ، ثم

قال « ربما كانت غلطة معمل ؟.. خطأ كيميائي .. أو إهمال من أحد العاملين .. شيء من هذا القبيل » . قال الطبيب بشكل قاطع « ليس هناك أي من هذه الاحتمالات .. لقد تأكدت بنفسي من سلامة الإجراءات .. بل كنت أطلب من مساعدي جونسون أن يراجع على عملي ، على سبيل التأكد .. واليوم عندما استدعينا الرجل لمزيد من التحاليل ، فزعت من النتيجة .. لقد أصبح دمه عادياً !. كأي شخص آخر » . فسأل جيف « وهل يمكن لكيمياء الدم عند شخص أن تتغير بهذه السرعة دون تدخل ؟ » هزّ الطبيب رأسه نفياً قائلاً « لا يمكن .. من المستحيل أن يتّم التحوّل خلال الساعات العشرين التي تفصل بين الإختبارين » ..

تصاعد أزيز جهاز الإتصال داخل السفينة ، وتناول الربان السماعة ، واستمع إلى الصوت المعدني ثم قال « سنكون عندكم في التو » . وضع سماعة التليفون ، ونظر إلى الطبيب ذاهلاً وهو يقول « دكتور .. أعتقد أنك ستواجه شيئاً حقيقياً هذه المرة .. لقد مات رجل الآن في غرفة الملاحة .. رجل اسمه دونالد شافر .. » .

* * *

في غرفة الملاحة ، وقف الدكتور كرادفورد ينظر إلى نتائج التحليل التي أجريت على دم الميت مشدوهاً ، ونسبة الكرياتنين فوق ١٣٠ .. كان لا بد أن يموت . سأل الربان « إذاً فهذا هو الرجل الذي كنت تتحدث عنه .. ألم تقل انه قد عاد إلى الوضع الطبيعي ؟ » . هزّ الطبيب رأسه وهو يقول « آسف يا جيف .. انه ليس نفس الرجل !. الآخر يدعى ويسكوت .. أما هذا فقد كان طبيعياً جداً عندما فحصناه » .

صاح الربان منزعجاً « دكتور كرادفورد .. لا بد أن تصل إلى حل هذا اللغز .. لا بد أن جرثومة ما قد تسللت رغم إجراءات التعقيم التي اتخذتها .. »

قال الطبيب محتداً « مستحيل .. لقد فحصنا كل من هبط على كوكب الزهرة .. بل إن أولئك الذين بقوا على سطح الكوكب لمدة ثلاثة شهور للإنتهاء من عمليات الإستكشاف عندما أجريت عليهم الكشوف بعد التعقيم كانت سلبية .. ولم تظهر أعراض على أي منهم .. إن ما يحدث لا يشبه الأمراض » . قال الربان غاضباً « لقد أتينا من الزهرة وليس من فوق الأرض .. لقد عشت في سفن أخرى يا دكتور ، وعرفت كيف حملت إحدى السفن الأوبئة من فوق سطح الكوكب تيتان .. تلك السفينة التي تم إحراقها في الشهر الماضي .. لقد التهم الفيروس رئات الذين كانوا داخلها في ظرف ست ساعات .. فكِّر يا عزيزي الدكتور في .. »

لم يكن الطبيب ينصت إلى حديث الربان . كان ينحني فوق الفتى الميت يمتحن أذنيه وعينيه . توقف طويلاً عند ذراع الفتى . ثم خبط كفَّه على فخذه وهو يقول « يا لغبائي ! . » وطلب أن يلقّي نظرة أخرى على نتائج التحليل ، وراح يقارنها بالبطاقات التي في جيبه ، ثم قال والخوف يطل من عينيه « بوب هذا ليس مرضاً .. » ثم استطرد « هذا الرجل لم يحدث أن هبط فوق كوكب الزهرة ، وكان مريضاً ملازماً فراشه بعد ثلاثة أيام من مغادرتنا الأرض ، كان لديه التهاب في الرئتين .. لقد أعطيته الحقنة الأخيرة أمس صباحاً .. » .

سأل الربان حائراً « أنا لا أفهم إذاً ... » ، قال الطبيب مقاطعاً « أعتقد أني بدأت أفهم .. هناك خلل ما شبع وسط هذه السفينة .. حسن ..

ولكنه ليس مرضاً من الأمراض» .

* * *

مضت السفينة تعبر الفضاء وقد بقي ثلاثة أيام على موعد وصولها إلى الأرض . وكان الكابتن جيف يذرع حجرته في عصبية ، قال الدكتور كرادفورد «إهدأ ، لقد غدوت عصبياً . .» . توقف جيف وواجه الطبيب قائلاً «فعلاً . . لماذا لا أغدو عصبياً في مثل هذه الظروف ؟.. لقد كانت ظروف هذه الرحلة وحدها كافية لأن تفقدني أعصابي .. تأمّل حظنا .. كانت مهمتنا اكتشاف وتقييم ظروف الحياة على كوكب الزهرة .. لقد بذلنا في إعداد هذه الرحلة والقيام بها مجهودات طويلة .. وزرعنا كل أجهزة الرصد . فماذا وجدنا ؟. الغلاف الجوي خفيف ولكنه قابل للتنفس .. الطقس حار ولكنه محتمل .. ذهب رجالنا لاكتشاف أرض الكوكب ، بذلوا كل جهودهم .. وعادوا يقولون لا أثر للحياة ، لا معادن ذات قيمة .. إلتقطنا الصور وكتبنا التقارير ثم حزمنا أمتعتنا ومضينا .. كان الأفضل أنِ نبقى في بيوتنا بدلاً من هذه الرحلة التعيسة .. والآن وقبل أن نصل بثلاثة أيام .. ينفجر هذا الوباء بيننا ..» .

قال الطبيب «لا وباء ولا مرض يا جيف .. ثق من هذا .. إن ما يحدث لا يشبه الأمراض» . قال الكابتن بما يشبه الرجاء «قل لي يا كرادفورد .. كيف تظن أن شافر هذا قد مات ؟..»

غطس الطبيب في مقعده وقال «أنظر يا جيف .. الميتابوليزم الإنساني هو الميتابوليزم الإنساني .. والإنسان قادر على ضبط الميتابوليزم داخله بطريقة في غاية الدقة في مواجهة الظروف المتغيّرة ، لكن الميتابوليزم

الإنساني له حدود في تغيره لا يتجاوزها . خذ نسبة السكر في الدم مثلاً .. لا يمكن بأي حالة أن يستطيع الإنسان أن يعيش عندما تصل نسبة السكر في الدم إلى الصفر . فقبل أن يصل الحال إلى هذا المستوى بكثير يصاب الإنسان بالإغماء .. بل ان الإنسان يموت قبل أن يصل السكر إلى نسبة الصفر بكثير .. إن ما حدث لا يمكن أن نصفه بالمرض .. بل هو أقرب للاستحالة .. إن ما يحدث لا يمكن أن يجري في ميتابوليزم كائن بشري جاء من كوكب الأرض !..» .

تجمّدت تقاطيع الربان ، واسودَّ وجهه . وجلس الطبيب صامتاً يرقب ظلام الفضاء خارج السفينة من خلال الكوَّة الزجاجية لحجرة الربان . فأحس الطبيب بوحدة السفينة في هذا الفضاء المطلق . ثم قال «هناك احتمال وحيد ممكن .. أنا لا أعلم كنه روجر ويسكوت الآن .. لكنه ليس كائناً بشرياً بالقطع ! » .

قفز جيف واقفاً على قدميه «إنتظر ... هذا جنون !. فمن بين كل الأفكار الحمقاء لم ..» قال الطبيب مقاطعاً بصوت ثابت «فقط افترض ان كوكب الزهرة لم يكن خالياً من الحياة كما تصوَّرنا .. فكرة مجنونة نعم بلا شك .. ولكن لنقل هذا على سبيل الافتراض .. حياة ذكية راقية مفكِّرة .. واننا كنا نراقب ، نراقب بحذر أثناء دراستنا للكوكب . ولنفترض أيضاً مجرد فرض .. أن هذه الكائنات ليس لها تشريح ثابت مثل ما لدينا . لنفرض أن هذه الكائنات تكون أشبه بكتلة هلامية من البروتوبلازم ، قادرة على التشكل وفقاً للحاجة .. متخذة صورة أي شيء في الطبيعة ، رابضة على صورة صخرية أو كومة من الرمال .. أو ربما

صورة آدمي من الأرض .. » . ظهر الرعب في عيني الربان وصاح « كلام فارغ .. لقد رأيت بنفسي سطح ذلك الكوكب .. لم يكن هناك أي شيء » . فقال الطبيب وهو يهز رأسه « كلام فارغ ؟.. يجوز ، ولكن لنفرض أن سكان الزهرة أرادوا أن يعرفوا المزيد عن كوكبنا ، يدرسونا ، يدرسوا سفينة الفضاء التي جئنا بها إليهم ، والكوكب الذي أتينا منه . كيف تتصوَّر أنهم يفعلون ذلك ؟ الحل هو أن يأتي منهم واحد بصحبتنا في شكل آدمي . يقتل أحدهم روجر ويسكوت في مكان ما على أرض الكوكب ويأتي إلى السفينة في صورته ، وعلى هيئته ، متخذاً نفس ردود فعله ، على أمل أن نقبله بيننا باعتباره روجر ويسكوت . ولنفرض أنه ارتكب خطأً في عملية تقليد ويسكوت ، غافلاً عن النظام الكيميائي للدم البشري . وانه هكذا حصلنا على النتيجة الأولى الغريبة عند تحليل دمه .. ولنفرض أنه تنبَّه إلى هذا الخطأ ، وعمد إلى تقمّص جسم شافر ليتعلم المسار السليم للعمليات الداخلية ، ثم أماته حتى نتصوَّر أن في الأمر وباء ، ونمضي باقي رحلتنا نتكهن في محاولة لتشخيص هذا المرض .. لنفرض ... » .

قاطعه الربان قائلاً « إفرض أن هذا صحيح ... وأن ويسكوت ليس هو ويسكوت .. ولكن قل لي بربك ، كيف تتأكد من هذا ؟ » . أجاب الطبيب «سؤال وجيه .. فنحن لا نعرف أي نوع من التزييف قد تلجأ إليه مخلوقات الزهرة في تخفِّيها ، ولكننا يمكن أن نخمِّن كيف ستحصل على معلوماتها . إفرض انها غزت جسماً بشرياً ، ودرست كل عصب وكل خلية فيه ، كل نسبة كيميائية ، كل نمط من أنماط التفكير الواعي . ستكون نسخة محكَّمة تشبهه ، وتتصرف كما يجب أن يتصرف هو ،

باختصار تصبح هو ، فيما عدا وجود عقل إضافي منفصل خاص بها ، له كيانه الخاص المستقل ، يتحرك وفقاً لدوافع خاصة . وهكذا تصل عملية التزييف إلى قمة الكمال .. » .

جلسا يحدقان في بعضهما لفترة طويلة .. ثم قال الربان بصوت يخنقه الخوف «ومعنى هذا أننا يمكن أن نحمل معنا إلى الأرض أحد هذه المخلوقات» . هزَّ الطبيب رأسه مؤمناً ، فقال جيف «وماذا يمكننا أن نفعل لتفادي هذه المصيبة ؟.» ساد الصمت بينهما ، ثم قال الطبيب «لا أعلم .. أنا لا أعلم .. لكن تراودني فكرة غامضة .. تجربة يمكن أن نجريها على ويسكوت .. في حدود علمي لم أسمع من قبل عن عملية تزييف لم تكن بها نقطة ضعف ..» .

* * *

كان ويسكوت شاباً في الثالثة والعشرين من عمره أنفه مستقيم وعيناه زرقاوتان مستقرتان . قرع الباب قبل دخوله حجرة الربان ، ووقف عنده ممسكاً بقبعته في يده ، رافعاً رأسه «روجر ويسكوت يا سيدي . لقد أرسلت في طلبي .. »

هبَّ دكتور كرادفورد ناهضاً ، وهو يرمق الربان الذي اصفرَّ وجهه بنظرة محذرة . قال الربان «ما هي وظيفتك في هذه السفينة يا ويسكوت ؟» قال الفتى «أنا ملاَّح يا سيدي ، أعمل مع سكوت ماكلنتر .. كما عملت مع دونالد شافر . » فأسرع الطبيب يقول «أنت غبي يا ويسكوت ، ولا بد أن تعيد المال الذي سرقته .. فهذا المكان ليس مناسب لمثل هذه السرقات» . ظهر الذهول على ويسكوت وقال بكلمات خافتة « سرقة ..

أنا لا أفهم ..» .

عاجله الطبيب «أنت تعلم جيداً ما أعنيه ، المبلغ الذي كان معدّاً لتسليمه إلى أرملة شافر .. ألفي دولار .. كانت على مكتبي منذ ساعة . وأنت دخلت إلى المكتب بعد خمس دقائق من مغادرتي له ، وخرجت منه على الفور ، بعدها اختفى المبلغ .. ألا يجدر بك أن تعيد النقود ؟ .. »

احمرَّ وجه الفتى ، واتجه مرتبكاً إلى جيف ، ثم استدار ليواجه الطبيب « صدّقني يا سيدي أنا لا علم لي بما تتحدث عنه .. لقد كُلّفت بالذهاب إلى مكتبك منذ قليل ، فلم أجدك هناك .. وعلى الفور خرجت ولم أشاهد أي نقود» . أصرَّ الطبيب «الأفضل لك أن تعيد هذه النقود .. ولن يحدث لك شيء» .

بسط ويسكوت ذراعيه في يأس نحو الربان قائلاً «سيدي أنا أعمل معكم منذ زمن بعيد .. وأنت تعلم أنني لم أمد يدي إلى أية نقود .. أنت تعلم يا سيدي أنني لم أتعوَّد أن أسرق» . فقال الربان «لقد سمعت كلام الطبيب يا ويسكوت والأفضل أن تعترف» . قال ويسكوت وهو يكاد يبكي «أنتم لا تصدقونني . لم آخذ أي نقود فكيف أعيدها ؟..» .

ضرب الطبيب صفحة المكتب بيده ثم صاح «وهو كذلك .. انصرف يا ويسكوت إلى عملك . وسنأمر بتفتيش شامل للسفينة كلها .. فالمال ما زال فيها وسنجده» .

عندما انصرف ويسكوت ، زفر الربان وهو يقول «أنا لا صبر لي على مواصلة هذه اللعبة ..إنها مناورة شريرة» . قال الطبيب محتداً «ونحن نتعامل مع شيء شرير أيضاً .. أعترف لك يا بوب ، فأنا خائف من

احتمالات ما يمكن أن يحدث .. ذلك الكائن ما زال يسعى بيننا طليقاً داخل السفينة ، ونحن لا نستطيع حتى أن تثبت من وجوده أو نلاحقه .. لو كان ذلك الكائن صديقاً ، فما كان أسهل أن يتصل بنا ويظهر لنا .. لقد قام ذلك الكائن بجريمتي قتل في مكان ما فوق كوكب الزهرة .. »

قال الربان متململاً « لكن ذلك الفتى يبدو طبيعياً .. ردود فعله كانت سليمة » . قال الطبيب « أنظر يا بوب .. فكّر فيما يمكن أن يفعله الكائن الغازي داخل السفينة إذا لم نوقفه . إننا لا نعرف مدى قدرات ذلك المخلوق .. لكنه هنا محبوس داخل السفينة على الأقل .. ماذا يحدث عندما نصل إلى الأرض ونذهب إلى بيوتنا . سيصبح في إمكان ذلك الكائن أن ينطلق حراً في شوارع المدينة ... لا يمكن أن نأخذه معنا إلى الأرض يا بوب » .. قال الربان محتداً « يمكننا أن نخبر بحارة السفينة حتى يكونوا على حذر .. » قاطعه الطبيب « وبهذا نفقد أي فرصة لاصطياد ذلك الكائن .. لا تكن سخيفاً .. كل ما عندي الآن مجرد تخمين .. ولكني أحس أنني سأصل إلى وسيلة .. دعني أجرّب » .

في قاعة الاجتماعات ، هدأت الضوضاء عندما دخل الربان بصحبة الطبيب .. وارتفع صوت الربان برنين خاص تردده الحوائط المعدنية للقاعة « لقد جمعتكم معاً لأخبركم أن بيننا لص .. » . تصاعدت همهمة احتجاج من بين الصفوف ، وتركزت العيون على الربان فاستطرد قائلاً « إن المبلغ الذي جمعناه لأرملة زميلكم الفقيد شافر قد سُرق .. ألفي دولار .. ولن يغادر أحدنا السفينة حتى نعثر على المبلغ » .. أخذ الطبيب يراقب ويسكوت أثناء حديث الربان ، فرأى وجهاً شاحباً ، وعضلات

متيبسة ، فقال لنفسه .. «أرجو أن أكون مصيباً .. لو كنت مخطئاً ، أكون قد ارتكبت جريمة في حق ويسكوت» .

انصرف الطبيب بعد الاجتماع إلى المعمل وأخذ يبحث بين الأرفف ، حتى عثر على زجاجة صغيرة بها مسحوق أبيض ، فوضعها في جيبه ، وأصابعه ما زالت قابضة عليها داخل الجيب . وزفر قائلاً «ساعدني يا إلهي .. أرجو أن أكون مصيباً» .

كان الرجل يرقد فوق سريره نائماً بلا حراك ، وفي داخل رأسه خلف العيون المغمضة ، تزحزح عقل خاص ، وتكوّم متحفّزاً يرسل حشداً من الأفكار .. عقل قاسٍ شرير . عقل غريب ، يرسل أفكار الكراهية .. يبحث وينقب ومن مكانٍ ما في أعماق السفينة ، كان ثمة عقل آخر يستجيب .

قال العقل الأول «علينا أن نرجع .. لقد دفعنا إلى المصيدة .. إنه يتعقبنا .. » ، قاطعه العقل الآخر بحسم وقوة « لا يمكن .. لن يحدث » . قال الأول «ما زالت أمامنا فسحة من الوقت .. إذا انتظرنا فلن نستطيع العودة .. » . صاح العقل الآخر «خائن جبان .. أنت تستحق الموت جزاء هذه الأفكار» ، قال العقل الأول بضيق «لكنه يتعقبني أنا .. ذلك الطبيب .. ما الذي ينوي أن يفعله ؟ لقد قمت بالتقليد بشكل كامل .. لن يتمكن من أن يكتشفني .. الذي يحيرني ، ما الذي ينوي أن يفعله ؟ » جاء صوت العقل الآخر « إنه أبله ! . مغرور ! . لن ينجح أبداً » .

صاح العقل الأول «ولكنه قد ينجح .. يجب علينا أن نعود .. لا أدري حيله القادمة معي كيف ستكون ؟..» ارتفعت ضحكة شريرة مصدرها

العقل الثاني «إنه لا يتعقبني .. يثق بي ، لا تخف .. إنه أبله ، بعد وقت قصير سيهبطون إلى الأرض .. فكِّر في دفء الجماهير المزدحمة بالمدينة حيث يمكن أن نختبئ ونعمل .. فكِّر كم سيكون ذلك ممتعاً .. وبعد القليل سيكون لنا العديد من الرجال .. وسنستولي على سفن الفضاء الخاصة بهم ، ونجلب بها الآخرين ..» .

سأل العقل الأول «ولكن هذا الطبيب .. لماذا لا نقتله ؟» جاءت الإجابة حاسمة «لا .. لا .. إذا حدث هذا فلن تهبط السفينة على الأرض .. سنثير شكوكهم ، وربما حرقوها قبل أن تصل إلى الأرض .. دع الطبيب يمارس ألعابه ولا تخف .. إنه لن يستطيع أن يصل إلينا معاً» .

* * *

قال الربان جيف للطبيب بمرارة «أرجو أن تكون راضياً .. لقد انقلبت أوضاع السفينة كلها . الجميع يلاحقون ويسكوت ويدينونه ، حتى أصبح الفتى لا يعرف طريقه .. لقد فقد الجميع أعصابهم .. ما هو آخر كل هذا يا دكتور ؟.. لو انني أعرف هدفك بالتحديد لاختلف الوضع ، أما بهذا الشكل ، فإني أشعر أننا قطعنا شوطاً أطول مما يجب . إنني لم أنم منذ أن بدأت هذه الحملة .. وكل مرَّة يلتقي بصري بعيني ويسكوت أحسّ انني أخونه ..»

مدَّ الربان يده ليتناول القداحة من يد الطبيب ليشعل سيجارته . فانتفض الطبيب راجعاً بجسمه إلى الخلف كما لو كان قد لدغ ، وصاح «لا تلمسني !..» فزع الربان ، وشعر بارتباك شديد فقال «كنت فقط أريد أن أشعل سيجارتي» .. أخذ الطبيب نفساً طويلاً ، ثم طوّح القداحة

ناحية الربان ونظرة خجل تطل من عينيه «آسف .. أعتقد أنني فقدت أعصابي أنا الآخر .. إنني أعاني من الكوابيس أثناء النوم .. هذه العملية جعلتني متوتراً .. » .

أطرق الربان قليلاً ، ثم رسم ابتسامة متكلفة وهو يقول « ألا يمكنك أن تكشف لي تفاصيل خطّتك ؟ . أو بعض التفاصيل على الأقل ؟ » .

قال الطبيب مندفعاً وبحسم «آسف .. فبعد كل شيء .. كيف لي أن أعرف أنك لست وحشاً أنت الآخر ؟»

« غبي » .. صرخة رددها مخ الطبيب وهو يأخذ طريقه إلى مستشفى السفينة . غبي .. غبي .. كيف ينزلق لسانك بمثل هذه الغلطة . ومرَّ الطبيب بيده على جبينه في ندم شديد ، كيف سمح لنفسه أن يشير مجرد إشارة إلى هذه الفكرة التي بدأت تلحّ على عقله .. فكرة أن روجر ويسكوت ليس هو الوحيد الذي احتلَّ جسده الأعداء . وبالرغم من أن جيف قد لا يفكر في كلماته هذه مرّة أخرى ، إلا أنه لم يكن يود أن يقع في مثل هذا الخطأ . لا يجب أن يتعرف أحد في السفينة على شكوكه .

سمع الطبيب وقع خطوات على الممر ، ثم انفتح الباب ، وظهر ويسكوت في فتحته ، شاحباً بعيون فارغة وكأنه أصبح فريسة لكابوس متصل . أخذ ويسكوت يحدّق في الطبيب لفترة طويلة ثم قال «لقد أخذت كفايتي من هذا يا دكتور .. لم أسرق النقود .. وأنت تعلم هذا .. أرجو أن تأمر بإيقاف هذه الحملة» .

رفع الطبيب حاجبيه وهو يقول « أوقفها ؟ » .. قال ويسكوت «حملة البحث عن السارق .. أنت تعلم أنه لم تحدث سرقة . أنت الذي بدأتها ،

وأنت الوحيد في هذه السفينة الذي يستطيع أن يوقفها . إذا لم تنته هذه الحملة سأصاب بالجنون .. » قاطعه الطبيب قائلاً « وهو كذلك فلتجن .. إنني لم أمنعك من هذا .. » .

تدفقت الدموع في عيني الفتى ، واستدار ثم انصرف دون أن يتكلم . تنهد الطبيب ، ثم أخرج الزجاجة الصغيرة من أحد الأدراج . كانت فارغة تقريباً ، وثمة بعض المسحوق في قاعها ، فهمس في صوت خفيض «لا تحاول ، لن تنجح في خداعي أيها الفتى» .

* * *

«تنبيه عام .. استعدوا جميعاً للهبوط في ظرف ثلاث ساعات » ، صدرت الكلمات من جهاز الإذاعة الداخلي بالسفينة ، تنقل صوت الربان إلى جميع من بها .

عبر الطبيب كرادفورد إلى حجرة القبطان جيف ، وقد تهدل كتفاه ، وظهر فراغ تحت كل من عينيه ، فألقى بمظروف أسود كبير على مكتب الربان ، وهبط بجسمه على أقرب مقعد وهو يقول « أرى أننا سنصل إلى الأرض خلال بضع ساعات .. يبدو أنني أتممت مهمتي في الوقت المضبوط .. » ، ثم أشار إلى المظروف وهو يقول «ها هي البضاعة .. جيف ، لقد وقع في يدي !.» صاح جيف متسائلاً «ويسكوت ؟» . أومأ الطبيب برأسه وقال «لقد أمرت بأن يذهب لتنظيف حجرة الضغط .. يحسن أن تأتي معي فسأريك شيئاً » .

فتح جيف المظروف بحرص ، وأخرج محتوياته وقال باندهاش «هذا .. يدين ويسكوت ؟.. » قال الطبيب بثبات «نعم .. تعال معي ..

وسأشرح لك فيما بعد » .

عندما وصلا إلى الممر المؤدى إلى غرفة الضغط ، صرف الضابط المنوط بالحراسة ، وتطلعا معاً من الفتحة ذات الزجاج السميك إلى داخل الغرفة . هناك كان روجر ويسكوت ينظف أرض الحجرة بالفرشاة التي في يده مستعيناً بوعاء الماء والصابون الذي إلى جواره .

بخفة القطة مد الطبيب يده إلى الذراع الخاص بإحكام فصل الحجرة فأنزله ، ثم ضغط على مفتاح في الحائط . انتشر ضوء أحمر في الغرفة ، وسمع صوت آلات تفريغ الهواء . نظر ويسكوت إلى أعلى ، وقد اتسعت عيناه فزعاً ، وقفز على قدميه وهو يصرخ فيصل صوته خافتاً عبر الحاجز الزجاجي « دكتور .. أوقف الجهاز .. أنا لا أرتدي بذلة الفضاء .. » . تلاحقت أنفاس جيف ، ووقف يحدق في الطبيب مشلولاً ثم قال « ما الذي تفعله ؟ أنت ستقتله » .

زمجر الطبيب « راقب صامتاً .. أرجوك » . وقف الرجل الآن داخل الغرفة متوتراً ، والدموع تسيل على وجهه وأخذ يصيح مستنجداً بالطبيب أن يوقف عمل الآلات .. أخذ يضرب جدار الغرفة المعدنية بقبضته ، حتى تدفق منها الدم وسال على حائط الغرفة .. وتحوَّل إلى شيء لا يشبه الدم .. امتدت قبضتاه إلى عنقه ، وسقط على ركبتيه ، وأخذ الضغط ينخفض أكثر وأكثر ، فتلوى على الأرض يسعل وفجأة تدفقت الدماء من أنفه فتشنج على الأرض ، ثم استلقى ساكناً .

بدأ جسمه في التغير ، ذاب ، وفقد شكله كجسم بشري بخدود حمراء وشعر أشقر ، متحولاً إلى كرة هلامية .. ذاب الذراعان ..

والساقان .. حتى تحوَّل إلى كتلة أشبه بالأميبا الحمراء العملاقة وفجأة تجمعت هذه الأميبا العملاقة في شكل كتلة مستديرة ارتعشت للحظة ثم تجمدت بلا حراك .

نزع الطبيب عينه من الفتحة ، وهز رأسه ، وسقط جالساً على الأرض من فرط الإعياء ، وقال بصوت متهالك «أرأيت يا جيف ؟. لم أكن مخطئاً .. » .

* * *

قال الطبيب وهو يفرغ لنفسه قدحاً من القهوة في حجرة القبطان « لقد كان التزييف محكماً ... لأول مرة إنسان مزيَّف كامل التزييف من الداخل والخارج .. لقد قلَّد الكائن القادم من كوكب الزهرة كل ما يتصل بويسكوت .. ثم نقل جانباً من نفسه إلى صورة شافر حتى يضللنا عندما اكتشفنا ذلك الاختلاف في نسبة السكر في دمه .. وحتى يستطيع أن يجري تعديلاً في جسم ويسكوت يصبح به كاملاً .. بكل ردود الفعل المتوقعة .. عندما كان مطلوباً أن يخاف ، خاف .. وفي الموقف الذي يقتضي الغضب ، غضب .. وعندما يحدث ما يستحق شعوره بالمهانة .. كان يبدو مهاناً ذليلاً . كل هذا كان يأتي من عقل ويسكوت الأصلي الذي تمَّ تقليده بمهارة . ولكن بقيت أشياء لا يمكن الوصول إليها ، لأن ويسكوت نفسه لم يكن يشعر بها ، أشياء لم يكن ليتحكَّم فيها مخ ويسكوت .. » .

صمت الطبيب وأنفاسه تتردد متلاحقة ، ثم واصل حديثه « هذا المخلوق القادم من كوكب الزهرة ، كان لديه عقل ويسكوت ليفكر به ..

وكان ينظر إلى عالمنا من خلال عيني ويسكوت ولكن بقي شيء لم يكن من السهل نقله .. عندما إتهمنا ويسكوت بالسرقة ، كان رد فعل ذلك المخلوق رائعاً .. يتبع ردود الفعل التي يمليها عقل ويسكوت .. فكان يبدو قلقاً مهاناً ، غاضباً يثير الشفقة .. كل شيء كان يبدو سليماً . كان يتناول واجباته بلا شهية ، كما كان ويسكوت يتصرف في مثل هذا الموقف»

ابتسم الطبيب وهو يشير إلى الصور السلبية الملقاة على مكتب الربان فوق المظروف الأسود الكبير « لكنه وقع في قبضتي عندما تمكنت من إخفاء هذه السلبيات تحت حشيته مساء كل يوم . لقد نسي المخلوق شيئاً ما كان لينساه الجهاز العصبي البشري .. لقد نسي أن يصاب بعسر الهضم ! ! الأمر الذي كان لا بد أن يصاحب هذه الإنفعالات عند الأنسان .. » .

* * *

ظهرت الأرض ضخمة على شاشة السفينة ، أكثر اخضراراً ولمعاناً منها عندما غادرتها إلى كوكب الزهرة . كانت إجراءات الهبوط قد بدأت ، وكل شخص داخل السفينة يقف في مكانه استعداداً للهبوط .

ومضى الدكتور كرادفورد يعبر الممرات والمظروف الأسود تحت إبطه ، لقد نجح في أن يقنع الربان بأن الخطر قد زال بالقضاء على ويسكوت أو المخلوق الساكن داخل ويسكوت . كان يشعر بالخجل لأنه لم يشرك الربان روبرت جيف في خطته .. لكنه كان مقتنعاً أنه لا يستطيع أن يميز الربان عن غيره من العاملين بالسفينة .. فكلهم في الإتهام سواء ..

وصل كرادفورد إلى كابينة قوارب فضاء الإنقاذ الصغيرة ، وبحرص

شديد مستخدماً مصباح إنارة يدوي صغير ، مرَّ على قوارب الفضاء الصغيرة يعطل جهاز الانطلاق بكل منها ، معتمداً على مفك صغير في يده الأخرى ، عطَّلها كلها فيما عدا قارب إنقاذ واحد . ونظر خلفه ليتأكد من أن أحداً لا يتعقبه .. استطاع تعطيل القوارب بشكل يحتاج إلى عدة ساعات حتى يمكن إصلاحها . ثم دخل الطبيب إلى القارب السليم ، وجلس أمام جهاز القيادة وبدأ ينزلق في اتجاه فتحة الانطلاق .

لم تتميز أصوات انطلاق قارب الفضاء الصغير بأكثر من همسة تضاف إلى زئير السفينة الكبيرة المتجهة إلى الأرض ، وبعد قليل ، كان الطبيب ينطلق بقارب الإنقاذ ، حرّاً في الفضاء في طريقه إلى الأرض . دارت الأفكار في رأسه .. هذه المخلوقات تتفوّق عليه بلا شك ، لقد تركته يخمّن ويبحث حتى تصيد أحدها ، معتمدة على رصيدها الباقي من المخلوقات الأخرى التي تحتل أجساد بعض أو كل طاقم السفينة .

بعد أقل من ساعة كان الطبيب يهبط بقاربه في مطار لوس الاموس الفضائي . بعض الإثارة ، والحواجب المرفوعة اندهاشاً ، والكلمات القليلة الحاسمة المتبادلة ، وبعدها كان دكتور كرادفورد في مقر قائد المطار الفضائي تحت الأرض .

* * *

هبطت سفينة الفضاء على زعانف ذيلها في المطار الفضائي ، شامخة بأنفها الفضي إلى السماء . راح دكتور كرادفورد يتأملها وهو يتخذ طريقه قريباً منها ، مأخوذاً للمرة الألف بجمال تكوينها . وفي نفس الوقت كان الونش الضخم يتحرك في تثاقل متجهاً بسلالم الهبوط إلى فتحة سفينة

الفضاء . وعلى قمة الونش وقف اثنان من بوليس الفضاء بملابسهما الخضراء . كانا ينظران إلى فتحة السفينة بوجه متجهم ، يحمل كل منهما بندقية إشعاعية تحت إبطيه .

اتجه كرادفورد إلى مكتب شرطة المطار ، وسأل الضابط «هل تلقّوا رسالة الرئاسة ؟» أومأ الضابط وهو يقول «نعم يا سيدي الدكتور .. وقد احتجزنا لك نسخة خطية من الرسالة ... ، تناول كرادفورد شريط الورق الأزرق وقرأ بينما ابتسامة غبطة ارتسمت على شفتيه .

«كل ضباط وطاقم سفينة اكتشاف كوكب الزهرة ، سيتّم اقتيادهم تحت حراسة مسلحة إلى مستشفى الفضاء ، للعزل والمراقبة بناء على توصية طبيب السفينة الذي سيتولى مراقبتهم . انتهى ..» . وقف كرادفورد والرسالة في يده مسترسلاً في أفكاره .. لقد تمكن من الإيقاع بأحد هذه المخلوقات الشريرة .. ولا بد أن يجري أقسى الاختبارات وأطولها على طاقم السفينة حتى يعرف إلى أي مدى تسللت مخلوقات الزهرة إلى أفراد هذا الطاقم .. سيجرب كل طريقة ، ويجري كل اختبار . قد يقتضي هذا زمناً طويلاً وجهداً مضنياً .. لكنه لن يشعر بيأس أو فتور .

أقبل قائد المطار ليقول «لقد تم كل شيء يا دكتور .. وأخلينا سفينة الفضاء منهم جميعاً ؛ تساءل كرادفورد «أنت متأكد ؟.. كلهم ؟» قالها وهو ينظر نظرة حادة للضابط . أجاب الضابط بثقة «كلهم .. لقد راجعت القائمة على الصور والبصمات .. ماذا ستفعل بعد ذلك ؟» قال الطبيب «سأمضي إلى السفينة لآخذ أوراقي ومذكراتي ..» . ولم يذكر الكرة الهلاميه التي يبست على أرض غرفة الضغط . كان يتعجل

معرفة نتائج تحليلها في المعمل ، ثم استطرد «شدد الحراسة على مدخل السفينة ، وتأكد من أن أحداً لا يدخلها غيري .»

صعد الطبيب فوق الونش وسمع دوي الآلات ، ورأى نفسه يرتفع في الفضاء ، فألقى نظرة تحته على أرض المطار الفضائي الذي يعجّ بالحركة الدائبة فيه ، ثم أرسل بصره إلى الوريط الممتد من المطار إلى المدينة ، شارع كورال ، ومنه إلى ضاحية المدينة .. إلى بيته .. وإلى زوجته .. ليس عليه سوى أن يجمع التقارير ويودعها في القيادة ثم يمضي إلى بيته .. وينام .. وينام ..

انفتح باب السفينة ، فعبره إلى داخلها المظلم . لقد توقف نبض الآلات الآن وعمَّ الصمت الشامل المثير للأعصاب . راح يقطع الممرات متجهاً إلى حجرته ، ويتردد صدى خطواته عبر الممرات .

توقف .. وسمع صدى آخر خطواته يختني .. وقف متسمراً متوتراً ، وأخذ يفكر .. شيء ما يتعقبه .. صوت ما .. إحساس ما .. أخذ يحملق في ظلام الممر الشبيه بالمقبرة ، يتنصَّت ، والعرق البارد يتصبب من جبينه وكفيه . سمع ذلك الشيء ثانية .. همسة خافتة دقيقة .. مثل حفيف قدم على الأرض .

يوجد شخص آخر داخل السفينة .. ارتعش جسده وقال لنفسه «غبي .. ما كان يجدر بك أن تأتي إلى السفينة .. ولكن مَن سيكون بها الآن ؟.. لا .. لا يوجد عليها أحد .. ولكنني .. أحس بوجود شيء ما .. شخص ما معي .. من يكون ؟.»

أحسَّ أن شخصاً ما يتجوّل معه داخل السفينة ، شخص يعرف قصة

ويسكوت كلها . شخص يعرف لماذا تم التحفظ على طاقم السفينة .. شخص يخاف أن يمضي معهم إلى الأرض لأنه متأكد من اكتشاف أمره عند أول اختبار . صاح بصوت عصبي «جيف» ، تردد صدى الكلمة أكثر من مرة في ممرات السفينة دار الطبيب على عقبيه واتجه إلى باب السفينة ، فرأى القفل الضخم للباب يغلق بإحكام أمام عينيه ، وسمع صوت جهاز الإغلاق الأوتوماتيكي يكمل إحكام غلق الباب .

صاح «جيف .. لن تجدي جهودك .. لن تستطيع أن تخرج من هنا .. لقد أبلغتهم كل شيء .. إنهم يعلمون بوجود كائن آخر غير ويسكوت .. هل تسمعني ؟ .. أنت محاصر هنا » . ثم وقف يرتعش ، وساد الصمت ثانية فلم يكن يسمع سوى دقات قلبه هو .. مسح العرق عن جبينه .. لقد نسي في غمرة حماسه للقضاء على ويسكوت أن كل واحد من هذه المخلوقات الشريرة قادر على احتلال أكثر من آدمي واحد . نسي شافر وكيف مات . لقد غادر الربان السفينة مع طاقمها ، ولكن شطراً منه ما زال يسعى داخلها .. منتظراً .

بحرص شديد مدَّ الطبيب يده إلى جيبه يتحسس المسدس الإشعاعي ، ومضى بحرص يقطع الممر حذراً لأي حركة أخرى قريبة منه .. يجب أن يعثر على هذا الغازي الشرير .. سمع الصوت ثانية يهرول على الممر العلوي . فانطلق الطبيب مسرعاً في نفس اتجاه الصوت ليلقاه عند السلم ، فسمع صوت إحدى الكبائن وهو يفتح ويغلق .. بالقطع باب كابينة الربان . لم يكن هناك مخرج من حجرة الربان إلا الممر العلوي .

ببطء وحرص صعد الطبيب على السلم ، وتحرك بحذر مقترباً من

الباب حيث شاهد بصيصاً من النور ينفذ من عقب الباب ، ثم زمجر صائحاً « تقدم يا جيف .. لن تستطيع الخروج من هذه السفينة . سيسحبونها بعيداً ثم يحرقونها وأنت بداخلها ! » .

لم يسمع شيئاً ، وبحركة سريعة جذب الباب بقدمه فانفتح الباب إلى الداخل ، ومد يده بالمسدس الإشعاعي ، يسدد قذائف الطاقة المتتابعة إلى فضاء الحجرة .. ثم تطلع إلى داخل الحجرة فوجدها خالية .

انفلتت صرخة من شفتيه ، وهو يتحرك قبل أن ترتطم القذيفة بيده ، مرسلة رعشة من الألم القاتل بطول ذراعه . سقط مسدسه على الأرض عندما مدَّ يده الأخرى ليمسك بيده الجريحة .. وبصرخة أخرى التفَّ حول الجسم النحيل الواقف عند الباب ، بشعره الأسود وعينيه الفارغتين ، وبذقنه وقد نبت شعرها الأسود ، وبابتسامته التي ترتسم على شفتيه ..

أخذ يصرخ ويصرخ وهو يرتعد ، وقد تجمدت عيناه خوفاً .. صرخ ... وكان يعلم وهو يصرخ أن أحداً لن يسمعه ..

لقد كان يحملق .. في نفسه !. في وجهه هو !!!..

* * *

قرقع الونش الضخم وهو يهبط إلى الأرض ، وما أن توقف عندها ، حتى هبط الدكتور كرادفورد من فوقه . ابتسم الضابط الذي كان في انتظاره ، وأخذ يدعك ذقنه وهو يقول « أعتقد أنه قد حان الوقت أخيراً للذهاب إلى البيت وحلاقة ذقني .. سأعود غداً لمراجعة التقارير الأخيرة . أرجو أن يبقى كل شيء على حاله حتى ذلك الحين » .

سار الطبيب ببطء متجهاً إلى مبنى المطار الفضائي ، وعبر القاعة

الواسعة ، متجهاً إلى الطريق هناك .. توقف قليلاً ، شاعراً أن قدميه تقودانه غريزياً في اتجاه شارع كورال ، الذي يقوده إلى الضاحية حيث بيته .. وزوجته ..

بدلاً من ذلك ، وبالتماعة شغف وحماس في عينيه ، مضى في الإتجاه المضاد ، حيث السوق والحي التجاري ، وحيث ازدحام البشر في قلب المدينة !..

باركي

أسقط باركي وسط أي جمع من الناس في أي مكان ، وستراه منتصباً بينهم مثل عمود الإنارة ، طويلاً ، رفيعاً ، العينين أشبه بمصباحين صغيرين يلتمعان . هكذا كان باركي دائماً وسط الناس ، ولكن ما أن يصير وحيداً حتى يبدو وكأن طوله قد انكمش . وينطلق صوته النحاسي الرفيع عندما تختلي به لتجري حواراً ، ويتحرك كفاه الأبيضان الصغيران الشبيهان بكفوف الأطفال ، حركة دائمة لا تتوقف .

كان يعمل كقارئ بخت ، وكنت أمتلكه !.. على الأقل أمتلك ساعة من وقته كل يوم من الإثنين وحتى السبت ، يقف فوق منصته لاعباً دوره . ورغم أن باركي كان حراً طوال يوم الأحد ، فلم ألحظ تغيراً في برنامجه اليومي ، سوى المزيد من التجول بين العربات التي يقيم فيها العاملون في مدينة الملاهي ، متجرعاً المزيد من علب الجعة الساخنة ، متجهاً إلى العربة التي أقيم فيها ، ليتحدث معي عن ضرورة رفع أجره ، بينما أصابعه تنقر إيقاعاً مثيراً للضيق ، على علبة الجعة المعدنية الفارغة .

قلت له ذات أحد «إسمع ، هل دورك في مدينة الملاهي أكثر أهمية من دودو ؟..» .

وكان دودو هو الذي يقدم عرض السير على السلك ، ولكن باركي

تجاهل سؤالي قائلاً إن الأجر الذي يتناوله لا يكفي لطعامه ، ثم قال في حدة «ألا تعرف ؟!. قراءة البخت واستطلاع المستقبل تحتاج إلى جهد يا شارلي ..» .

لم ينتظر ردي ، بل ألقى علبة الجعة التي في يده ، واتجه إلى الثلاجة ، باحثاً عن شيء يأكله ، وعاد يقضم في ورك دجاجة بارد ... قلت له «إسمع يا باركي .. أنت تقرأ البخت للناس وتحدثهم عما سيجري لهم .. أليس كذلك ؟.. هل يمكنك أن تقرأ بختك الآن لتعرف هل سأعطيك علاوة أم لا ؟ هل يبدو أن مالاً متدفقاً سيلقى بين يديك ؟ » ..

نظر إليّ باركي طويلاً دون أن يتكلم ، ثم قال «يمكنني أن أقدم عروضي في مدينة ملاهي أخرى .. أنت تعلم هذا جيداً ..» قلت وأنا أنهض «لا تضحكني .. أعتقد أن أفضل ما تفعله هو أن تأخذ لك علبة جعة باردة من ثلاجتي» .

دون أن يتكلم ، تحرك باركي ، وتناول علبة الجعة ، ثم خرج وهو يتمتم بكلمات مدغمة غير مفهومة . لم أره مرة أخرى طوال ذلك اليوم .. جلست أدوّن حساباتي ثم وضعت الدفاتر في الخزينة التي بحجرتي ، وبدأت جولتي التقليدية التي أقوم بها كل أحد لتفقد منشآت مدينة الملاهي .

* * *

كنت في منتصف جولتي ، عندما صادفت شاباً أشقر . لمحته لبرهة ثم اختفى عن عيني ، فغيرت اتجاهي وسرت في الاتجاه الذي اختفى فيه . وحول إحدى الخيام عثرت عليه مرة ثانية . كان يأخذ طريقه إلى العربة التي يقيم فيها باركي ، وشعره الذهبي يلمع حول رأسه كالهالة تحت

شمس ما بعد الظهيرة المشرقة ، ناديت عليه «هيه ..» . التفت نحوي ببطء ، فرأيت حلّته الأنيقة التفصيل ، الجيّدة الكواء ، وباقي هندامه الرسمي ، الياقة ورباط العنق الدقيق . إنتظر في مكانه حتى وصلت إليه ، وعندها سألني « نعم ؟ » ..

الغريب في الأمر أنني كنت أراه دقيق الجسم ، ولكنه عندما تكلم بدا وكأنه أطول مني . قلت له بحرص «إسمع أنا لا أحب أن أبدو ثقيلاً ..» . فلاحظت انفعالاً غريباً على وجهه ، وأخذ حاجباه يرتفعان ويهبطان وهو يحدق في وجهي . فقلت مستطرداً « في الواقع .. أقصد أن مدينة الملاهي مغلقة اليوم» . ساد الصمت بيننا ، فقطعت هذا الصمت مفسراً «اليوم هو الأحد .. كما تعلم بلا ريب» .

أخيراً تكلم الرجل ، بنعومة ورقة ، دون خبث أو التواء ، فقال «لا أعتقد انني فهمت ملاحظتك الأولى» . كانت لهجته غريبة ، تكشف عن أصل أجنبي . أخذت أسترجع ملاحظتي التي تكلم عنها «أنا لا أحب أن أبدو ... » ، فقاطعني متسائلاً « ثقيلاً ؟ » أجبت « نعم » ..

تنهد بلطف ثم قال «إنني معجب بنظامك في إدارة هذا المكان» . أسعدني قوله ، فسألت وأنا أدور حول نفسي في دائرة بطيئة متطلعاً إلى الخيام والعربات تحت السماء الزرقاء «أعجبك ؟ أعتقد أنك محق في هذا ، فالنظام هنا لا بأس به . أنت إذن تعمل في مشروعات التسلية ؟» ..

أجاب بحسم «لا .. بل في الحكومة !» .

كان من الطبيعي أن تصدمني الإجابة ، ولكني أسرعت قائلاً في وقار وأدب « في إدارة المباحث إذاً ؟» . أجاب «لا .. في الآي جي سي ..

لما عبر المجرات» .

قلت لنفسي بالضبط كما توقعت ، يبدو أنه أجنبي من أوروبا . على كل حال ، فإني كنت قد بدأت أتعجب من الطريقة التي دخل بها إلى أرض مدينة الملاهي . فالأبواب مغلقة .. الأطفال يتسللون في بعض الأحيان من الثغرات التي في سور المدينة ، ولكن هو ؟.. وأخذت أتطلع إلى حلّته الأنيقة النظيفة ، أفكر في أن أسأله ولم أكد أبدأ قائلاً «كيف ؟» ، حتى قاطعني قائلاً «إنني أبحث عن إفرايم باركنسون ..» ، وجدت الإسم غريباً للوهلة الأولى .. ولكنني تذكرت أنني صادفت هذا الإسم في أحد العقود التي حرَّرتها ، ثم فهمت «تبحث عن باركي إذاً ؟» .

أجاب «نعم .. أبحث عن إفرايم باركنسون .. هل يمكن أن تدلني على مكانه ؟» .

اشرت إلى العربة التي يقيم فيها باركي .. وبعد أن ابتعد عني عدة خطوات خطر لي أن أسأله عن الطريق التي دخل بها فتوقف في مكانه واستدار قائلاً وهو يبتسم «لقد دخلت من فوق البوابة ..» ، ثم مضى في طريقه ! ! .

* * *

في مثل عملي ، لا يجب أن تجعل أمراً ما يقلقك .. وإذا كان الرجل من الحكومة ، فمن الأفضل تركه ليؤدي مهمته بالطريقة التي يراها .. أنهيت جولتي في المكان ثم عدت إلى عربتي . شربت ، وقرأت الجرائد ، واستمعت إلى الإذاعة ، ثم أغلقت المذياع ، ورحت في نوم عميق .

في العاشرة من صباح اليوم التالي ، وبينما كنت أحلق ذقني ، دخل

باركي إلى عربتي . لم يقل شيئاً . جلس على أحد المقاعد ، وأخذ يتابع عملي وأنا أحرّك آلة الحلاقة حول ذقني ، ثم قال « إن لك وجهاً لطيفاً ، يكشف عن تغذية طيبة يا شارلي» . غسلت آلة الحلاقة ، ثم غسلت وجهي ، وجففته قائلاً «شكراً يا باركي» .

أخذ يراقبني ثم طرفت عيناه وهو يقول «هل تعلم إنني كنت يوماً أزن ٩٠ كيلو ؟» . قلت «هذا كثير جداً ..» ولو أنني كنت أعلم أنه يمهد لحديث آخر ، فقلت وأنا ألبس قميصي «ما الذي يدور في رأسك اليوم يا باركي» ، فأخذ يعبث بأصابعه في أكمام قميصه ، وهو يقول «لقد مضى علينا معاً وقت طويل يا شارلي .. ولكني لم أحصل على علاوة واحدة» . ربطت رباط العنق وأخذت أراقبه في المرآة وأنا أقول «ولكني أيضاً لم أخصم شيئاً من مرتبك يا باركي» .

نهض باركي فجأة ، وبدا كما لو كان قد وصل إلى قرار ، ثم قال « شارلي .. إما أن تعطيني علاوة ، أو سأضطر إلى .. » ، وتردد قليلاً ثم قال مستطرداً «سأضطر إلى ترك العمل معك ، أنا آسف يا شارلي ، ولكن أمامي عرضاً آخر» .

جلست وابتسمت له . الآن أصبحت حركاتنا محسوبة تماماً . لقد مضت عدة أشهر كنت خلالها أحاول أن أستغني عن باركي ، ولكن الوضع يختلف الآن . فإذا كان أحد المشاركين في العرض قد تلقى عرضاً آخر للعمل ، فلا بد أن صاحب العمل الآخر يرى فيه شيئاً يستحق المحاولة . وهكذا أخذت أتساءل ، ما الذي فاتني في باركي ؟.. ما الذي يتمتع به من مواهب لم ألاحظها ؟. أخيراً قلت له «باركي .. دعنا نتكلم

حول هذا فيما بعد» .

قال باركي «لا فائدة من الكلام في هذا يا شارلي . لقد تلقيت عرضاً آخر بمرتب مجز ... لا يمكنني أن أبوح لك باسم صاحب العرض ، ولا بمكان العمل» .

تساءلت «لا تستطيع .. أم لا تريد ؟» فلم يجب على سؤالي ، واكتفى بتحريك رأسه . فقلت له «إسمع . أعطني فرصة حتى نهاية عرض اليوم» ، فأمّن برأسه راضياً وهو يقول «هذا عظيم يا شارلي» .

انصرف باركي . ففتحت علبة جعة ، وابتلعت ما فيها مرة واحدة ، وأنا أفكِّر ، هل نسي باركي أن بيني وبينه عقداً ، لو أحببت أن أتمسك به ، لما استطاع أن ينتقل إلى العمل الآخر ؟ .. ومع هـذا فما أظنني ألجأ إلى مثل هذا التصرف مع زميل قديم ، ثم أخذت أفكر ، هل يا ترى هناك صلة بين هذا ، وبين الشاب صاحب الشعر الأصفر ؟. ماذا قال عن عمله ؟.. أي . جي . سي ؟.. شيئاً يرتبط بالحكومة .. ولكن ماذا كان يعني عندما تساءل عن معنى كلمة «ثقيل» ؟..

أمضيت صباح اليوم أتثبت إذا ما كان أحد آخر غير باركي قد تلقى عرضاً بالعمل في مكان آخر ، واكتشفت أن أحداً لم يشاهد الشاب الأشقر سوى باركي . وأخيراً ، وصلت إلى أن أفضل ما أفعله ، هو مشاهدة العرض الذي يقيمه باركي ، فربما ظهرت بعض المعالم الجديدة المثيرة في ذلك العرض .

في حوالي الساعة السابعة مساء ، أخذت طريقي إلى الخيمـة التي يقدّم فيها باركي عرضه . كانت قلّة من الجمهور تجلس على الآرائك الخشبية .

تتململ بلا حماس كبير . كان النور الأصفر يلتمع على حشائش أرض الخيمة ، وخلف الستار الأزرق الحائل اللون كان باركي يعزف لحناً على الهارمونيكا كمقدمة لعرضه .. جلست في مؤخرة المكـان ، وقد تبينت أن الشاب الأشقر ليس من بين الحاضرين .

* * *

تصاعدت نغمات الهارمونيكا ، ثم توقفت ، وأطفئت أنوار المكان ، فأطلقت فتاة في الصف الثاني ضحكتها ، وأخذت أتطلع إليها ، مما فوّت عليّ ملاحظة دخول رجلين أثناء الظلام ، وعندما فتح ستار المنصة ، وظهر باركي ، انعكس نور المنصة على الجالسين ، لأجد أن أحد الرجلين هو الشاب الأشقر .. مسكين باركي إن الحكومة تتعقبه . فما هو سر باركي الغامض ؟.

بعد ساعة كاملة ، كان نفس السؤال يتردد على خاطري بلا إجابة ، قرأ باركي أفكار شابين يظهر عليهما الغباء ، وقرأ طالع عشرة من الحاضرين لكن العرض كان مملاً ، وكانت شخصيّته فوق المنصة باهتة .. وكانت حركاته تدفع إلى الضحك .. وعندما قارب العرض نهايته ، أسرعت بالانصراف ، فلم أكن أرغب في حضور مشهد المواجهة بين باركي ورجل الحكومة . كانت السماء تمطر خارج الخيمة ، فسرت إلى عربتي ، وقطرات المطر تضرب صفحة وجهي ، ومشاكل باركي تدور داخل رأسي ... لم يكن باستطاعتي أن أرفع راتبه ، فالعرض الذي يقيمه لا يجتذب الجمهور وإيراده يتناقص يوماً بعد يوم ، وإذا كان حقاً قد تلقى عرضاً ما ، فهذا المخبول صاحب العرض ، سيتراجع عن عرضه

بعد أن تتكشَّف أزمة باركي مع الحكومة . بل لن يجد باركي من يستخدمه .

وصلت إلى عربتي ، ولبست رداء النوم ، وأخذت أعد عشائي ، وقلت لنفسي ليذهب باركي بمشاكله إلى الجحيم . ثم سمعت طرقاً على الباب .

* * *

ظننت أنه باركي ، ولكنه كان الشاب الأشقر يقف بالخارج ، وقطرات الماء تتساقط من رأسه ، فدعوته للدخول ، فدخل وهو يقول «آسف للإزعاج» . كانت ملابسه على نفس أناقتها السابقة برغم المطر ، وكانت ربطة عنقه في مكانها الصحيح ، وقد أمسك بمظلة في يده . قال «الذي أعرفه أنك صاحب العمل الذي يعمل فيه باركي» قالها بلكنته الغريبة . أمّنت برأسي ، وبعد اللحظة القصيرة التي أغمضت فيها عيني وأنا أهز رأسي ، فتحت عيني لأجد الشاب قد ارتفع بحذائه الأنيق عن سطح الأرض ! .. وعندما لاحظ دهشتي الشديدة ، نظر إلى أسفل واكتشف سر دهشتي ، فمد يده إلى وسطه تحت معطفه . فهبط إلى الأرض في هدوء ، وهو يقول مفسراً «إنها بعض ألاعيب الجاذبية .. الفضل فيها لأحزمة أي . جي . التي أرتديها» .

هبطت جالساً بكل ثقلي على سريري . فقال بلهجة عملية «والآن إلى العمل» .. وأخذ مقعداً ثم جلس في مواجهتي «لا بد انك قد تحققت من أن عالمنا يختلف عن عالمكم .. لقد سبق أن قلت لي من قبل أنك لا تحب أن تبدو ثقيلاً .. في عالمنا كل واحد يتمنى أن يكون ثقيلاً . إن حضارة عالمنا قد تطورت حتى تحولت إلى فوضى .. لقد تحللت حكومتنا .. لهذا نحتاج إلى إفرايم باركنسون» ..

ودون أن أتمكن من فتح في ، استطرد الرجل قائلاً «ولا شك أنك تتوقع كصاحب عمل تعويضاً مناسباً .. ولعل هذه .. » وأشار بطرف مظلّته إلى الخزانة الحديدية «هذه ستنال تعويضها المناسب» . ثم ابتسم وهو يقول «لقد قمنا منذ ساعات بوضع الهدية المناسبة في هذه الخزانة .. ويمكنك أن تتحقق من ذلك عندما أنصرف» . قلت وسط دهشتي وعجبي الشديد «ولكن .. لماذا باركي ؟» .

ابتسم الشاب الأشقر ثانية وهو يقول «لأن باركي هو الشخص الوحيد في هذا الكون الذي يستطيع فعلاً أن يقرأ الأفكار .. سيكون نافعاً جداً لحكومتي ، عندما تبدأ محادثات السلام في عالمنا» .. ثم حرَّك مظلّته بحبور وهو يندفع إلى الخارج .. أخذ المطر يتساقط عليه دون أن يحاول استخدام المظلة .. من الواضح أنها لا تمطر في عالم باركي الجديد .

* * *

بعد أن أفقت من سلسلة الصدمات ، كان من الطبيعي أن أفتح الخزانة .. وإني لا أشك في أنكم جميعاً ستتكالبون على مدينة الملاهي التي أمتلكها لمشاهدة الحيوان العجيب الذي تركوه لي .

حيوان صغير ، أحمر اللون ، يغطيه فراء جميل ، يأكل الزجاج والمسامير والورق .. وأي شيء يقدم له ، له ثلاثة أعين ، وينفث ناراً من فمه ، ويمكنه أن يرقص الهولاهوب على ساق واحدة .

لكن .. هل تعرفون .. إنني على استعداد لتقديم أي عدد من هذه الحيوانات لأستعيد باركي إلى عالمنا .

سينفعنا جداً وجود شخص مثله على أرضنا .. هذه الأيام .

السؤال القاتل

لم يكن كاري هارمون شاباً خالياً من الموهبة . لقد كان لديه من الذكاء ، ما أتاح له أن يصل إلى وظيفته كمحامي لمجتمع الأراضي الواطئة ، الأمر الذي لا يتوفر للكثيرين فوق كوكب الزهرة ، وكان لديه من الفطنة ما سمح له بأن يدعم هذه الوظيفة بمصاهرة أسرة ، تعتبر من أكبر مصدّري الأدوية . إلا أنه من وجهة النظر العلمية يعتبر أمياً . والأميّ نتيجة لنقص معلوماته ، لا يجب أن يُسمح له بالعبث في الأجهزة التكتيكية الدقيقة ، فنتائج مثل هذا العبث تكون عادة وخيمة ، كما لو سمحنا لطفل صغير بالعبث بعيدان الثقاب .

كانت زوجته ذات شخصية قوية ، وما كان له أن يصل إليها ، لولا أنها كانت حمقاء بدرجة كافية تسمح لها بالوقوع في حبّه .. ونظراً لأنه لم يكن يحبها بالمرة ، فقد كان من الطبيعي والعملي أن ينهي خلافاته معها دائماً بأن يختفي عن نظرها لعدة أيام ، حتى يدفعها خوفها من فقده ، إلى البحث عنه والرضوخ لطلباته . وكان يحرص في كل مرة على أن يجدد في اختيار المكان الذي يختفي فيه ، حتى لا يسهل عليها العثور عليه .

وعلى هذا فقد كان سعيداً جداً عندما اختار لاختفائه هذه المرة ، المحطة الجوية التي يشرف عليها ويعيش فيها صديقه القديم «بروك

ماكانتاير » ؛ تلك المحطة المقامة على جبال لونسام ، وسط منطقة منعزلة مهجورة بالقرب من البحر الشمالي لكوكب الزهرة ، كانت رحلة شاقة تلك التي قطعها حتى يصل إلى موقع المحطة ، مستخدماً طائرته الصغيرة ذات المقعدين .

بعد أن انتهيا من تناول الوجبة الشهية التي أعداها من الأطعمة المتنوعة التي يحفل بها مخزن صديقه ، قال وهو يستمع إلى صفير الرياح التي ترتطم عنيفة بجدران المحطة الجوية «لو أنني تأخرت في الوصول عشر دقائق فقط لواجهت مصيراً مخيفاً وسط هذه العاصفة» . ضحك بروك لكلمات صديقه ، وتساءل ساخراً مستنكراً «مخيفاً ؟! ، أنتم يا سكان الأراضي الواطئة قد ركنتم إلى جنة عدن التي تعيشون فيها فوق السهول ..» كان بروك ضخم الجثة ، تقاطيع وجهه مميزة ، تغطي رأسه خصلاً من الشعر الأصفر المُرسل ، يُضمر حباً لجميع البشر ، قد لا يصل إلى مستوى حبه لفصيلته من رجال الأرصاد الجوية .

قال كاري «دعنا من حديث المخاطر هذا ، هلاَّ حدثتني قليلاً عن عملك هنا ؟. » أجاب بروك وقد ارتسم تعبير اندهاش على وجهه «عملي ؟! إنني أعمل وفقط» . استدرك كاري «ولكن كيف ؟.. هل ترسل مثلاً البالونات إلى الفضاء ؟ .. هل تقيس كثافة سقوط الجليد ؟ أم ماذا ؟ » .

هزَّ بروك رأسه مبتسماً في إشفاق ، ثم قال « إذا كان يمتعك حقاً أن تعرف . فأنا لا أعمل هنا شيئاً مثيراً .. أجلس فقط على مكتبي ، وأجمع المعلومات التي تصلني ، حتى أرسلها إلى المركز الجوي في (كابيتال سيتي) » .

ضحك كاري وهو يقول «هذا عظيم أنت وحدك هنا ، ويمكنك أن تغرق في النوم ، ثم ترسل أيّة معلومات إلى المركز الجوي .. من الذي سيراجعك في هذا ؟.» قال بروك جاداً «لا تقلق نفسك ، فالعمل يقوم به عقل إلكتروني كبير» . واصل كاري ضحكه وهو يقول « هذا أسوأ ، تجلس أنت هنا متدفئاً مستريحاً ، بينما ذلك العقل المسكين يقوم بكل العمل» .. قاطعه بروك قائلاً «بل إن الأمر أبعد مما تتصوَّر . إن العقل الذي نعتمد عليه هنا ، يعتبر آخر صيحة في هذا المجال ، لقد تم تركيبه أخيراً ، فمنذ شهور قليلة ، كان لدينا عقل الكتروني يجمع المعلومات فقط ، وكان علينا أن نغذي بها جهازاً آخر ، حتى نحصل على النتائج المطلوبة ، والتي نبرق بها بدورنا إلى المركز الجوي» . رشف كاري رشفة من كأسه ، وهو يقول «عمل متعب بلا شك ..» .

استطرد بروك «كان هذا يعني انشغالي باستمرار .. فالمعلومات تردد على مدى ساعات الليل والنهار ، وبينما أنت مشتغل بالمعلومات التي وصلت ، وقبل أن تنتهي من الإبراق بها إلى المركز الجوي ، تكون قد تراكمت معلومات جديدة .. هذا بالإضافة إلى ضرورة مراجعة عمل أجهزة المحطة ، ثم ساعات الراحة والنوم وتناول الطعام ..» . وتنهد بروك بارتياح وهو يقول «أما الآن فقد تكفل الجهاز الجديد بتلقي المعلومات آلياً ، وتغذية الجهاز الآخر بها ليقدم النتائج جاهزة ... والأكثر من هذا ، أن العقل الإلكتروني الجديد يتكفَّل أيضاً بضبط التدفئة والإنارة للمكان بأكمله ، وهو يتولى كافة عمليات التثبت من حسن سير الأمور في المحطة كلها ، مقدماً الصيانة الدورية اللازمة ، وقائماً بالإصلاحات

الضرورية أولاً بأول ...» . مال بروك إلى الأمام وهو يقول في صوت اكتسى بجدية بالغة «هذا العقل الالكتروني يا كاري ، لديه مخزون من المعلومات ، يسمح له بمواجهة أية ظروف استثنائية طارئة ، بل وأية احتمالات نظرية !!» .

«عالم بأسره !.» ، قالها كاري ، وظل سخرية يلوّن كلماته ، فهو لم تعجبه قصيدة الفخر التي يرددها بروك أمامه ... ثم استطرد «مهلاً يا بروك ، لا يجب أن تدع فخرك بهذه الأجهزة ، يتجاوز الحد .. فكلنا يعلم أنه لا يوجد الجهاز الذي يبلغ حد الكمال ، مجرد تلامس بين سلكين أو عطب في صمام .. ويتوقف كل شيء !» ..

قال بروك بحماس «لا توجد أسلاك أو صمامات .. إنه يعتمد على الوصلات الضوئية .. كما أن العقل الإلكتروني مزوّد بقطع الغيار التي يتم تركيبها قبل أن يحدث العطب .. هذا العقل الإلكتروني يوجد تحت تصرفه عدد كبير من بنوك المعلومات .. وعدد من قطع الغيار يفوق احتياجاته بعشرين مرة .. حتى يستطيع أن يؤدي مهامه الأصلية بالإضافة إلى تكييف هواء المبنى ، وإجراء الحسابات المختلفة ، وإذا طرأت مشكلة أكبر من أن يتصدى لها أحد بنوك المعلومات ، على الفور ينفتح الطريق إلى البنوك الأخرى حتى تتم تسوية المشكلة» .

قال كاري معانداً «ولكن لنفترض أن شيئاً ما قد حدث يقتضي حله ما يتجاوز طاقة بنوك المعلومات كلها .. فما الذي يحدث ؟ هل ينفجر كل شيء ؟» هز بروك رأسه ناظراً إلى كاري بإشفاق «أنت مصمم على أن تجد عجزاً في هذا الإنجاز العلمي العظيم .. الإجابة حتى تطمئن ،

لا .. من الناحية النظرية الجهاز مهيأً لمواجهة حتى المشاكل التي قد يعجز عن حلّها كل بنك على حدة .. لنفرض مثلاً أن هذه المحطة الجوية قد طارت فجأة بأكملها في الفضاء لغير ما سبب معقول . البنك الأول سيبحث المشكلة ، فإذا عجز ، أحالها للبنك الثاني وهكذا ؛ فإذا فشلت كل البنوك في حل المشكلة ، تضافرت معاً لحلها ، حتى تصل إلى نظرية سليمة في تفسير ما حدث فتبدأ في تحديد أفضل التصرفات للعودة إلى المكان المناسب .» .

نهض كاري متحمساً ، يذرع المكان في نشاط وهو يقول «إذاً فالأمر بسيط ، أدخلني إلى حيث جهاز تلقّي المعلومات المنطوقة ، فأخبره اننا نطير في الهواء لنرى ما يفعل ؟» . ضحك بروك وهو يجلس في مكانه ، ثم قال «كفى غباء يا كاري .. أتظن أن من أنجزوا هذا العقل الإلكتروني قد فاتهم احتمال الخطأ اللفظي ؟.. يمكنك أن تقول ما تشاء للجهاز ، على الفور سيجري العقل حساباته وقياساته ، ثم يجيب بثقة .. آسف يا سيدي ، ما قلته ليس صحيحاً !!..» . ونهض بروك مقترباً من كاري قائلاً بسعادة «هذا العقل متكفل أيضاً بالنظر في القضايا النظرية .. أدخل وقل له ، لنفرض أننا نطير في الهواء ، فماذا نعمل ؟.. وعلى الفور سيعطيك العقل الإلكتروني الإجابة السليمة .» . صمت بروك وهو ينظر منتصراً إلى كاري الذي ظهرت عليه علامات التفكير العميق ؛ وإن ارتسم شبح ابتسامة خبيثة على فمه ، وقال بإصرار «ولكني أستطيع أن أخدع هذا العقل الإلكتروني الذي تعتزّ به ..» قال بروك ضاحكاً وهو يجلس «دعك من هذا العناد .. هيا إملأ كأسك ولنتكلم في موضوع

آخر .. » .

ظلَّ كاري واقفاً في مكانه ، وقال بصوت أقرب إلى الهمس « ولكني واثق من كلامي .. هل تراهنني ؟. » . ثار غضب بروك ، فهبَّ ناهضاً وهو يقول « إذا كنت مصرّاً .. فإنني أقبل الرهان !. » . تحرّك بروك خارجاً من الحجرة المكيّفة المريحة ، التي يظهر الجو الجليدي العاصف من خلال نوافذها المحكمة ، وتبعه كاري فعبرا ممراً معدنياً ووقفا أمام حائط زجاجي ، فتوقف بروك وقال وهو يتطلع إلى كاري « ها هو العقل الإلكتروني .. إذا أردت الإتصال به صوتياً ، فما عليك سوى أن تتكلم في هذا البوق الذي إلى اليسار .. ولكن حاذر أن تحاول أي نوع من التخريب ، فكل شيء في هذا الجهاز يسير آلياً ، بلا أي وسيلة للضبط يدوياً .. حتى الإضاءة والتكييف . كما أن الإجهزة الحساسة يحميها حائط سميك من الصلب لا تصل إليه يد إنسان . » ، قال كاري جادّاً « تأكد أنني لا أنوي أي نوع من التخريب » . قال بروك يتحدى « حسن .. تفضل .. هل ترى أن أبقى مكاني هنا ، أو أذهب بعيداً حتى لا أراقبك ؟ » قال كاري مبتسماً « بل إبق حيث أنت .. ليس هناك ما أخفيه » ، ورفع كاري يديه في الهواء كما يفعل الحاوي وقال ضاحكاً « أنظر .. ليس هناك ما أخفيه في أكمامي !. » . قال بروك بخشونة « هيا .. ادخل ، حتى أعود لكأسي » .

دخل كاري وأغلق الباب من خلفه ، وأخذ بروك يراقبه من خلال الحائط الزجاجي . وقف كاري أمام البوق ، وظهره لبروك وقد وضع يديه إلى جانبه ، ثابتاً في مكانه بلا حراك . وضحك بروك وهو يقول

لنفسه «إنه يناور حتى آخر لحظة ، على أمل أن يبدو عليَّ القلق . فأطلب منه أن يرجع عن محاولته» . أعجبته الفكرة ، فأشعل سيجارة وهو يقول لنفسه «لن تمضي أكثر من دقيقة ، حتى يعود كاري منهزماً .. إلا إذا كان ينوي أن يثبت كمحام أن هزيمته في حقيقتها انتصار له» .

فجأة أحسَّ بروك بذبذبات الأجهزة التي يستشعرها دائماً تحت قدميه قد خفتت ، ونظر أمامه فرأى لوحة المصابيح الملوّنة المضيئة المتراقصة دائماً تظلم تماماً .. وعمَّ الصمت بعد أن اختفى صوت أجهزة التهوية والتكييف ، خفتت أنوار الإضاءة ثم أظلمت تماماً ، مخلفة الإضاءة الرمادية المعتمة القادمة من نوافذ المرصد الزجاجية .. فسقطت السيجارة من يد بروك ، وفي سرعة البرق كان يجتاز الباب ويلحق بكاري .

صاح «ماذا فعلت ؟!» . نظر إليه كاري ساخراً ، وهو يتحرك حتى وصل إلى حائط الحجرة ، واستند إليه قائلاً في تهكم «هذا ما يجب عليك أن تكتشفه ؟» . صاح بروك «لا تكن مجنوناً ! .» وأسرع يتفقد أجهزته فوجدها كلها مظلمة صامتة ، فيما عدا مخازن الطاقة بالعقل الإلكتروني ، التي بدت مصابيحها مضيئة . فيما عدا ذلك كان كل شيء خامداً .. جهاز فتح أبواب المرصد الضخمة ، أجهزة الإرسال ، أجهزة الراديو ... ضغط بروك على مفتاح الطوارئ . وتكلم في البوق «إنتبه .. إنتبه .. كل الأجهزة معطلة .. ما السر في ذلك ؟» . فلم تصدر أيّة استجابة من العقل الإلكتروني ، مع بقاء مصابيح الطاقة التي تشغله مضيئة .. تحول بروك إلى الجهاز الحاسب ، ودقّ على مفاتيحه رسالة استفهام مشابهة ، ووقف في مكانه ينتظر الإجابة .. دون فائدة .. بقي جامداً أمام الأجهزة

الصامتة ، ثم استدار ليواجه كاري «ماذا فعلت ، تكلم ؟» .

تحرَّك كاري من مكانه قائلاً «هل تعترف بانتصاري ؟» هزَّ بروك رأسه قلقاً وهو يقول «نعم» . سأل كاري «وهل كسبت الرهان ؟» .. أمَّن بروك على كلامه . ابتسم كاري وقال منتشياً «إذاً .. سأقول لك ..» ثم وضع سيجارة بين شفتيه وأشعلها ، ونفث دخانها بقوَّة في جو الحجرة ، الذي انخفضت حرارته نتيجة لتوقف أجهزة التكييف ، ثم قال «قد يكون عقلك الإلكتروني هذا ماهراً في شؤون الأرصاد الجوية .. ولكنه لا يصل إلى هذه المهارة في علم المنطق .. وهو أمر غريب ، إذا ما تأملنا العلاقة الوثيقة بين المنطق والرياضة» .

صاح بروك وقد فرغ صبره «ماذا فعلت ؟!» . قال كاري مبتسماً «لقد استخدمت ضده ، واحدة من المتناقضات المنطقية التي قرأت عنها في أحد كتب الأحاجي والفوازير .. إسمها متناقضة أبيمنيدس .. لا أذكر نصها الأصلي . ولكني استخدمتها هكذا ، قلت : «كل المحامين يكذبون . وطلبت من العقل الإلكتروني أن يجيب هل أنا صادق أم كاذب في هذا القول . أنا أعمل كمحامي ، فإذا كانت الجملة صادقة ، فيجب أن أكون قد كذبت عندما قلت ان كل المحامين يكذبون . ولكن إذا كانت الجملة كاذبة ، فمعنى هذا أن كل المحامين لا يكذبون .. وأنا كما تعلم أعمل كمحام ! ! معنى هذا أن الجملة تكون كاذبة إذا كانت صادقة ، وتكون صادقة إذا كانت كاذبة .. ! » وانفجر كاري ضاحكاً وهو يتأمل صديقه بروك الذي جمد..في مكانه .

استطرد كاري «هل ترى التناقض يا بروك ؟.. لا يمكن للعقل الإلكتروني

أن يدين كلمتي ويصفها بالكذب ، فمعنى هذا أنه يصف بالصدق كل المحامين وأنا منهم ، ولكني قائل الجملة التي كذّبها !. كما لا يمكن أن يصفها بالصدق ، وإلا فمعنى ذلك إنني كمحام ، أكون من الكاذبين ، رغم أنني صاحب الجملة !..» .

وانطلق كاري في نوبة أخرى من نوبات الضحك حتى هدأت ضحكته ، فاستند ثانية إلى الجدار وقال «والآن وقد علمت السر ، حاول يا بروك أن تعيد جهازك إلى صوابه ..» . لكن بروك بقي جامداً في مكانه يحملق في الأجهزة التي أمامه .. فاستطرد كاري «هيا يا بروك ولا تقف هكذا .. إذا كان دفع الرهان هو ما يقلقك ، لقد تنازلت عنه مكتفياً بانتصاري .. وإذا كان أسفك على معبودك الإلكتروني ، فاطمئن لقد كنت أتصوّر أنه سيخمد تماماً ولكني أرى أن بعض مصابيحه ما زالت مضيئة !..» .

بقي بروك جامداً في مكانه ، فاقترب منه كاري قلقاً وهو يقول «ماذا بك ؟.. تكلّم !» ، تحرَّكت شفتا بروك عدة مرات قبل أن يقول كلمة واحدة تحمل كل معاني الغيظ والكراهية «أنت !!» . تعجَّب كاري ونظر إليه مستفهماً ، فقال بروك «أنت أيها الغبي .. أيها الوحش ! . ماذا أفعل الآن ؟.. كيف أخرج من عقل الجهاز ما ألقيته فيه ، وأطالبه بالعودة إلى وظائفه الطبيعية ، وإلى الإهتمام بالإنارة أو التكييف ؟!.. كيف يجيبني وهو منشغل مع كل بنوكه ، في حل المتناقضة المنطقية التي رميتها في جوفه ؟ ماذا سأفعل .. والعقل بأكمله غائب عني لا يسمع ولا يتكلم ولا يرى ؟. سيتجمد كلانا قبل أن يفيق العقل من مشكلته !»

تبادل الرجلان النظرات عبر الغرفة الصامتة . وأنفاسهما تخرج كالضباب من فمهما وسط البرودة التي شملت الحجرة .

وأخذت درجة الحرارة تنخفض بسرعة شديدة !!

التصديق

«هل حدث لكِ من قبل أن حلمت بنفسك تطيرين ؟» .. هكذا سأل دكتور روجرز توماي زوجته جين ، التي أجابت دون أن تتوقف حركة إبرتي حبك الصوف بين أصابعها «بالتأكيد» .. كانت الأصوات الصادرة من جهاز التليفزيون تشكّل خلفية صوتية لجلستهما ، أما ما يجري على الشاشة فلم يكن يجذب إليه أيهما .. كما هي العادة دائماً .

عاد روجرز ليقول «كل إنسان لا بد قد رأى نفسه في الحلم يطير .. هذه ظاهرة عامة ، ما يشغلني حقيقة هو تكرار هذا الحلم في منامي» .. قالت جين وسط تمتمتها بعدّ الغرز التي تحبكها «لا أفهم ما تعني بهذا» .. قال روجرز «كلما فكّرت في هذا زاد عجبي .. إن ما أحلم به ليس طيراناً بالمعنى المفهوم .. ليست هناك أجنحة .. ليس هناك مجهود مبذول .. أشعر انني أحلّق فقط .. بالضبط مجرد تحليق .. » .

تركت جين الصوف الذي تحبكه ، وقالت «روجرز .. تصرّفاتك اليوم غريبة ، منذ أن عدت من الكلية .. رغم أنك لم تأكل بشكل مفرط ، فها أنت تتحدث عن هذه الكوابيس .. وأعتقد ان أفضل ما تفعله الآن هو أن تتناول مهضماً .. » ، قال روجرز وهو ينظر في فضاء الغرفة «بل أحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك .. بودي لو عرفت ما الذي يتسبب

في حلم الطيران عند الإنسان» .

قالت جين بعصبية «إذا لم يكن يضايقك .. أفضل لو غيّرنا الموضوع .» قالت هذا وهي تنهض لترفع الصوت في جهاز التليفزيون ، فارتفع صوت المغني النحيف ، وقد ملأ وجهه الشاحب شاشة التليفزيون ، يبث غرامه الذي لا يمكن أن ينتهي .

تقدم روجرز وخفض صوت الجهاز ، ثم وقف يتطلع لزوجته وهو يعطي ظهره للشاشة ، وقال «تحليق الجسد المادي .. هذا هو ما أعنيه بالضبط يا جين .. أقصد أن هناك طريقة يستطيع بها بعض الناس أن يحلِّقوا بأجسادهم ، وهم في حالة اليقظة الكاملة .. هؤلاء لديهم القدرة على ذلك ، لكنهم لا يعلمون كيف يمكنهم استخدام هذه القدرة ، إلا وهم نيام .. وفي بعض الأحيان يرتفعون في صحوهم ارتفاعاً طفيفاً عن الأرض .. ربما بضع مليمترات .. مما لا يسمح لأحد بملاحظة ذلك حتى لو كان يراقب ذلك الشخص .. لكنه يشعر في ذلك الوقت بنفس إحساس الطيران ..» .

«كفى هلوسة !..» قالتها جين بغضب ثم استطردت «أتمنى أن تتوقف عن الكلام في هذا الموضوع» . لكن دكتور روجرز واصل حديثه وكأنه لم يستمع إلى كلماتها «في بعض الأحيان نهبط ببطء ويختفي هذا الإحساس .. وفي بعض الأحيان يتوقف إحساس الطفو فجأة .. ونسقط .. جين هل سبق لك أن حلمت بأنك تسقطين من ارتفاع كبير ؟.» . «بالطبع وأنا ..» . قاطعها قائلاً «نحلم بأننا نتدلى من بناء مرتفع ، أو نجلس على حافة مقعد ، ثم فجأة نسقط . ونشعر بالصدمة المخيفة للسقوط .. ثم

نستيقظ من نومنا .. وأنفاسنا لاهثة ، وضربات قلبنا متدافعة .. لا بدّ أن نكون قد سقطنا فعلاً بشكل مادي ليس هناك تفسير آخر .. » .

صمتت جين لبعض الوقت ، وقد تحوَّل ضيقها إلى اهتمام ، ثم ظهر عليها الاستمتاع وهي تبتسم قائلة «روجرز .. أنت أيها الشيطان .. هكذا خدعتني مرة أخرى .. أيها الفأر الخبيث !.» تساءل روجرز مستنكراً «ماذا ؟.» . قالت ضاحكة «كفى .. لن تجوز عليَّ حيلتك مرّة أخرى .. أنت تفكر في حبكة قصة من القصص التي تكتبها .. وتريد أن تمتحن معي هذه الحبكة .. تصوّر ؟. لقد أخذتك مأخذ الجد ..» .

بدا روجرز حائراً ، وقد ظهر عليه بعض الارتباك ، فاقترب بتصميم من مقعدها ، ونظر إليها وهو يقول «لا يا جين .. إنها ليست قصة ..» فقالت مبتسمة «ماذا يمكن أن تكون غير ذلك ؟.» .

قال بصوت هادئ وهو ينظر إليها «عندما استيقظت من نومي هذا الصباح ، وجدت نفسي أسقط من فوق الحشية» . ونظر إليها نظرة ثابتة وهو يستطرد «لقد كنت أحلم بأني أطير .. كان حلماً مثيراً .. أذكر لك تفاصيله .. كنت أطفو ممدّداً ، ووجهي إلى أعلى ، عندما استيقظت .. وقد تساءلت قليلاً ، لماذا يبدو السقف هكذا غريباً .. ومددت يدي فلمست السقف .. ولدقيقة ، أخذت أحملق في ذراعي التي تمتد إلى أعلى ليصطدم بصلابة السقف ..» .

«ثم استدرت .. لم أحرّك عضلة واحدة يا جين .. فقد استدرت كقطعة واحدة لمجرد أنني أردت ذلك .. واكتشفت أنني أعلو السرير بحوالي خمسة أقدام .. ورأيتك هناك ترقدين في السرير غارقة في نومك .

أحسست بخوف شديد . لم أكن أدري كيف أهبط إلى السرير ، لكن في اللحظة التي فكّرت فيها في الهبوط ، وجدت نفسي أسقط .. أسقط ببطء .. كانت العملية كلها تحت تحكم كامل .

« بقيت في سريري لمدة ربع ساعة قبل أن أجرؤ على التحرّك . ثم نهضت ... غسلت وجهي وارتديت ملابسي وذهبت إلى عملي » .

كتمت جين ضحكتها ، ثم قالت «عزيزي .. أفضل أن تبدأ على الفور بكتابة القصة .. لقد أصبحت جاهزة .. » .

قال متضرراً «جين أرجوكِ ، لا تكوني سخيفة .. » .

فقالت جين بحيرة «إذاً ، لا بد أنك كنت تحلم .. وأنك استيقظت فعلاً بعد ربع ساعة من اللحظة التي تصوّرت أنك استيقظت فيها .. » فقال بإصرار «لم يكن حلماً .. » .

قالت جين «عزيزي .. انه أنت الذي يعمل أستاذاً للطبيعة وليس أنا .. وأنت الذي تعلم كل شيء عن الجاذبية وليس أنا .. فهل تأخذني مأخذ الجد إذا جئت وقلت لك إنني وجدت نفسي أسبح في الفضاء . ؟ » قال مقاطعاً «لا .. لا .. ليست المسألة مسألة تصديق أو تكذيب .. لقد حاولت يا جين أن أقنع نفسي أن المسألة مجرّد حلم .. ذهبت إلى الكلية ، وأعطيت محاضرتي الأولى في التاسعة .. وفي الحادية عشرة كنت قد نسيت كل شيء عن الموضوع تماماً .. ولكن حدث بعد الغذاء أن كنت في مكتبي ، واحتجت إلى مرجع معيّن من المكتبة التي في حجرتي .. كان الكتاب على الرف الأعلى .. وبدون تفكير مددت يدي لتناول الكتاب ، فوجدت نفسي أرتفع إليه ، في الهواء يا جين !. » .

نظرت إليه وقد ظهر عليها القلق وقالت ، « سأتصل بجيم سيرل يا روجرز» . صاح روجرز « لست مريضاً ! . » . فقالت بهدوء .. « أعتقد أنه سيتحدث معك .. إنه صديق لنا .. لن تكون زيارة لطبيب .. فقط سيتحدث إليك .. » اصطبغ وجه روجرز بالدماء وقد ظهر عليه الغضب فجأة ، «وماذا أستفيد من هذا ؟» .. قالت «سنرى ... عليك أن تجلس الآن يا روجرز . أرجوك» .. ونهضت متجهة إلى التليفون . أوقفها روجرز مكانها وهو يمسك برسغها قائلاً « أنت لا تصدقيني » . فقالت برجاء « أرجوك يا روجرز . » . ظلّ روجرز ممسكاً بها وهو يقول « والآن .. في مكانك وراقبيني» .

ابتعد عنها إلى منتصف الحجرة وبلا مقدمات ، ارتفع بجسمه عن الأرض . وبقي معلقاً في فضاء الحجرة وأطراف قدميه مدلاة على ارتفاع ست بوصات من الأرض .. رسمت عيناها وفمها ثلاث دوائر من فرط الدهشة ، وقالت بصوت هامس «إهبط يا روجرز .. يا للسماء !. أرجوك إهبط يا روجرز ! . » هبط ولمست قدماه الأرض وهو يقول « أرأيت ؟ ؛ » . فلم تقل سوى «أوه !. يا إلهي !. يا إلهي !.» ، وكانت تتطلع إليه نصف خائفة ونصف مريضة .

كان دكتور روجرز توماي في حجرة مكتبه الصغيرة بالكلية ، والتي يحتل المكتب أغلب فراغها ، وأمامه كومة من أوراق إجابة الطلبة ، عليه أن ينتهي من تصحيحها ... إنه منذ اكتشاف قدرته الجديدة على التحليق ، أعطى أكثر من محاضرة في الكهربية والمغنطيسية ، إلا أن الجهد الذي بذله حتى يبدو في محاضرته طبيعياً ومنطقياً ، ثم إحساسه

بأن إجاباته على أسئلة الطلبة بعد انتهاء المحاضرة لم تكن مقنعة كما كانت دائماً .. كل هذا جعله يتخلص من محاضرات اليوم ، بإعطاء امتحانات مفاجئة .. وحتى هذه الامتحانات لم يعدّها خصيصاً ، بل اعتمد فيها على امتحانات قديمة ، كان قد أعطاها للطلبة في سنة سابقة .

سمع قرعاً على الباب ، فصاح مجيباً بغضب «من هناك ؟» . مرّت فترة صمت قبل أن يسمع إجابة على سؤاله «إنه أنا يا دكتور .. لقد انتهيت من الخطابات التي أمليتها» . دخلت سكرتيرة القسم الآنسة هارواي ، وتقدمت خطوة بجسمها النحيف عبر المكاتب التي تحمل أكوام الأوراق ، تبحث لنفسها عن ممر فيما بقي من فراغ الحجرة .

كان روجرز حريصاً على أن يتخلّص منها بأسرع وقت .. وهكذا ارتكب غلطته .. مال إلى الأمام ، ماداً ذراعه ليتناول منها الخطابات ، ولا يضطرها للبحث عن منفذ لها إلى مكتبه ، فوجد نفسه يرتفع عن مقعده .. وجد جسمه يتحرك مسافة قدمين إلى الأمام . وهو ما زال على وضع الجلوس ، قبل أن ينتبه ويبذل جهداً لكي يعود إلى وضعه الطبيعي . ونتيجة لهذا ، وجد نفسه متكوماً على الأرض ، وقد فقد توازنه . لقد جاء انتباهه متأخراً ! .

سقطت الأوراق من يد الآنسة هارواي لتنتشر في أنحاء المكان ، وأطلقت صرخة قصيرة ، ثم استدارت منصرفة ، بعد أن ارتطم كتفها بباب الحجرة .. وواصلت عدوها في الممر هاربة إلى حجرتها . أما روجرز فقد نهض من الأرض يدلك جسمه وهو يتمتم غاضباً « عليها اللعنة ! » لكنه كان يعلم أنها لا يمكن أن تلام على تصرفها .. فمن وجهة

نظرها ، أن ترى الاستاذ يطفو فوق مقعده ، ويسبح طائراً نحوها وهو في وضع الجلوس .. بالقطع كانت محقّة فيما فعلته .

انشغل روجرز بجمع الخطابات والأظرف من أنحاء المكتب ، بعد أن أغلق باب المكتب ، منتظراً بين لحظة وأخرى أن يندفع إلى حجرته أولئك الذين أثارت الآنسة هارواي فضولهم بحكايتها عما حدث في حجرته .. لكن شيئاً من هذا لم يحدث .. عاد وشك أن تكون مستلقية في حجرتها وقد فقدت الوعي .. وهمَّ بالفعل بالقيام للذهاب إلى حجرتها والاطمئنان عليها ، لكنه عاد ورجع عن هذه الفكرة ، وشغل نفسه بمراجعة الخطابات .. خطاب لكل أستاذ في العلوم الطبيعية بالبلاد ، فتفسير حالته لا يمكن أن يتم على يد أساتذة الكلية التي يعمل بها .

وتساءل .. هل يا ترى فهمت الآنسة هارواي شيئاً من مضمون هذه الخطابات التي أملاها عليها ؟.. لقد حرص أن يضع تساؤلاته في لغة علمية متخصصة ، ربما أكثر مما يقتضي الأمر ، حتى يفوت على السكرتيرة أن تفهم الموضوع من ناحية ، وحتى يقنع هؤلاء الأساتذة والعلماء الكبار أن صاحب الخطاب أستاذ وعالم متخصص من ناحية أخرى .

بعد أن انتهى من وضع الخطابات في الأظرف ، نهض من مكانه ، وحرص على أن ينقل قدميه على الأرض بحرص ، وكانت هذه عادته منذ أن بدأ يمارس هذا التحليق المفاجئ ، فتح الباب ، فوجد الممر خالياً إلا من بعض الطلبة ، فسار مراعياً الحرص الشديد .. مرَّ على المصعد وتجاهله .. لقد توقف عن استخدام المصعد منذ أن بدأت معه تلك القصة .. فلم يكن يحب أن يتطلع إليه من في المصعد ، عندما يهم

المصعد بالصعود ، أو يتوقف عن الهبوط ، فيطير جسمه في فضاء المصعد ليرتطم بسقفه ..

توجَّه مباشرة إلى الدرج وهو يتفادى نظرات الطلبة ، ومدَّ يده إلى السياج الخشبي للدرج ، يريد أن يمسك به حتى يضمن استقراره فوق الدرج أثناء هبوطه وعدم طيرانه في الهواء .. وقبل أن تصل يده إلى السياج تشابكت قدماه ، وانكفأ جسمه إلى الأمام .. لو أن هذا حدث منذ عدة أسابيع ، وقبل أن يمارس روجرز التحليق في الهواء ، لكان قد سقط متدحرجاً على الدرج ، ومني بإصابات لا شك فيها .. لكن هذه المرة ، واستجابة لأجهزة التحكم الجديدة التي نشأت داخله ، وجد نفسه يطير في الهواء برفق ، وقد اشتبكت قدماه ، وبسط ذراعيه كالصقر ، ليستقر عند أسفل الدرج ..

بقي على حاله للحظات ، لم يكن في إمكانه بكل ذلك الرعب والارتباك اللذين يسودانه أن يعتدل ناهضاً .. لقد مرَّ أثناء طيرانه بطالبين يصعدان الدرج ، وشاهدهما يلتصقان بالحائط مبتعدين عن طريقه وقد تجمدا في مكانهما .. بينما فعل نفس الشيء من كانوا عند أعلى الدرج من الطلبة .

عمَّ سكون مطبق .. وراح جميع الطلبة يتطلعون إليه ..

نهض روجرز ، واندفع خارجاً من باب الكلية ، مما جعله يصطدم بأحد الطلبة القادمين ، فيدفعه بيده بعيداً ، بينما كان يختفي عن أنظار الجميع .

* * *

«دكتور مورتون يريد أن يراك يا دكتور توماي» ، واستدار روجرز

تومای لدى سماعه هذا ، بينما كان يمسك بمسند مقعده جيداً ، حتى لا يطير جسمه نتيجة لحركة الاستدارة . لكن ما أن واجه السكرتيرة الجديدة للقسم ، التي كانت تتكلم إليه ، حتى أسرعت هذه تغادر باب الحجرة هاربة .. لقد لاحظ روجرز في الأيام الأخيرة أن الجميع كانوا يتحاشونه .. حتى الطلبة أثناء المحاضرة ، كانوا يحتشدون في المقاعد الخلفية للمدرج ، تاركين الأماكن الأمامية خالية !..

كان مكتب دكتور فيليب مورتون رئيس القسم على بعد مكتبين من حجرته ، فحمد الله على قصر المسافة التي سيقطعها . نهض من مكانه ببطء ، ثم سار في خطوات محسوبة وهو ينظر إلى قدميه . عندما دخل على رئيس القسم رآه مقطباً .. قال عندما رأى روجرز يجلس في المقعد المقابل لمكتبه «قل لي يا توماي .. لقد تلقيت أغرب خطاب من ليانس ديرنج .. هل حدث أن أرسلت إليه خطاباً ؟» . توقف لينظر إلى ورقة بين يديه ، ثم استطرد «في الثاني والعشرين من الشهر الماضي ؟.. هل هذا هو توقيعك ؟» .

نظر روجرز إلى الورقة التي رفعها مورتون ، وحاول أن يقرأ بالمقلوب من ناحيته دون جدوى . وبالنسبة لجميع الخطابات التي أرسلها إلى أنحاء البلاد ، يوم واقعة السكرتيرة الآنسة هارواي ، لم يتلق سوى ثلاثة اعتذارات عن الإجابة على تساؤلاته .. ثم خطاب رابع من فقرة واحدة ، يقترح فيها مرسله إنشاء معهد للأبحاث الروحية لدراسة هذه الحالة . وها هو ديرنج من جامعة برينستون يرسل الرد الخامس ، ولكنه إلى مورتون وليس إليه ..

سمع دكتور مورتون يقول بعد أن وضع نظارته فوق عينيه «أريد أن أقرأ لك ما كتبه .. عزيزي فيليب» .. ثم توقف وقال مستدركاً «لقد التقيت به في أحد الاجتماعات الفيدرالية السنة الماضية ونشأت بيننا صداقة سريعة .. إنه رجل لطيف ..» ثم عاد يثبت نظارته ويقرأ «عزيزي فيليب هل هناك ما يسمى دكتور روجرز توماي في القسم التابع لك ؟.. لقد تسلمت منذ أيام خطاباً شاذاً منه ، وكدت أن أهمل أمر الخطاب ، ولكنني اكتشفت أن الخطاب يحمل إسم القسم الذي ترأسه ، ورأيت أنه من الواجب أن أخبرك ، فربما كان أحد العابثين يستغل زوراً إسم القسم وخطاباته . مع هذا خطاب المدعو دكتور توماي لتفحصه بنفسك . أتمنى أن أتمكن من زيارة ...» ، ورفع مورتون رأسه وهو يقول «باقي الخطاب شخصي» .. قالها وهو يطوي الخطاب ، ثم يخلع نظارته ويضعها في حافظتها الجلدية ، ويضع الحافظة بعناية في جيب سترته .

اعتدل مورتون في جلسته وهو يقول مثبتاً نظره على روجرز «والآن .. بالطبع ليس مجدياً أن أقرأ لك ثانية خطابك الذي أرسلته .. هل كانت نكتة أم مقلب ؟..» .

قال روجرز مهموماً «لقد كنت جاداً في خطابي هذا يا دكتور مورتون . لقد أرسلت نسخاً منه لعدد من علماء الطبيعة في بلادنا .. فقد أتيح لي أن أجري بعض المشاهدات على حالة من حالات التحليق بالجسد .. وكنت أريد أن أحصل على تفسيرات نظرية لهذه الظاهرة ..» قاطع مورتون غير مصدّق «التحليق بالجسد ؟؟.. أنت تقصد هذا فعلاً ؟. هل رأيت هذا بنفسك ؟.» . أجاب روجرز «طبعاً» ، فاستطرد مورتون

« ألم تكتشف أسلاكاً ، مرايا خادعة .. إنتبه لي جيداً يا روجرز ، إنك لست مختصاً في كشف مثل هذه الخدع » . قال روجرز بتصميم « ليس في الأمر خدعة ما .. لقد كانت سلسلة من الملاحظات والمشاهدات العلمية الدقيقة » .

قال الدكتور مورتون بعد فترة صمت « روجرز .. حياتك الخاصة ملك لك تفعل بها ما تشاء .. بأمكانك أن تؤمن بالتحليق بالجسد إذا رغبت .. ولكن على أن يتم هذا بعيداً عن القسم والكلية .. » ، ونظر إليه متفحصاً ثم قال « كما أنني ألاحظ عليك الإرهاق الشديد في الأيام الأخيرة .. إذا كنت منك لاسرعت إلى استشارة طبيب أعصاب » . فقال روجرز بمرارة « ربما تقصد طبيب نفسي .. » . فقال مورتون « هذه شؤونك الخاصة التي ... » .

دق جرس التليفون على مكتب دكتور مورتون ، فاعتدل في جلسته وهو يقول « ألو .. أهلاً يا دكتور سميثر .. آه .. بخصوص من ؟ .. انه في الواقع معي الآن .. حسناً .. على الفور .. » وضع سماعة التليفون ، ونظر إلى روجرز متأملاً ، ثم قال « العميد يريد أن يرانا معاً .. » .

* * *

كان العميد سميثر رجلاً نحيفاً ، بوجه نحيف طويل ، وكان طقم أسنانه الرديء يجعل الكثير من الكلمات تخرج من فمه مشوّشة غامضة ذات صفير . عندما دخلا عليه ، كان يقول لسكرتيرته « والآن اغلقي الباب خلفك يا آنسة بريس .. لا أريد مكالمات تليفونية لبعض الوقت .. تفضلا إجلسا .. » ثم قال بلهجة عملية « أفضل أن أدخل إلى جوهر

الموضوع .. لا أعلم بالضبط ما الذي تفعله يا دكتور توماي .. لكني أطالب بالتوقف عن هذا فوراً !.» .

ظهرت الحيرة واضحة على دكتور مورتون وهو يتأمل روجرز سائلاً « ما الذي كنت تفعله ؟ » .. قال روجرز لنفسه « ليس لي حيلة في ذلك ! . من الواضح أن الطلبة الذين شاهدوا واقعة الدرج قد تكلموا .. » . قال العميد « لست أعلم مدى صحة القصة التي وصلتني .. لكن واضح من الموضوع أنك قمت بعدة حيل استعراضية . حيل سخيفة لا تليق بكرامة أستاذ جامعي » .. فصدر تعليق مندفع من دكتور مورتون « كل هذا من خلف ظهري !.» .

ظهر الغضب على العميد وهو يقول لمورتون «يبدو واضحاً أنك لم تسمع عن ذلك .. شيء غريب أن يشيع مثل هذا الأمر بين جميع الطلبة دون أن يصل إلى علمنا .. لقد وصل إلى علمي بالصدفة .. عندما التقيت ، وأنا أدخل الكلية هذا الصباح ، بذلك المخبر الصحفي ، الذي جاء يبحث عن واحد يدعى دكتور توماي .. أو كما أسماه الأستاذ الطائر ..» صاح مورتون « ماذا ؟. » .

واصل العميد حديثه « هذا ما قاله الصحفي .. يبدو أنه جاء استجابة لنداء أحد الطلبة .. لقد استدعيت الطالب إلى مكتبي اليوم .. ووفقاً لأقواله ، فهو قد رأى دكتور توماي يحلق في الفضاء .. هذا هو نصّ كلمته .. يحلّق !. طائراً فوق الدرج .. لقد قال الطالب إن أكثر من عشرة طلاب شاهدوا الواقعة .. » .

تمتم روجرز « في الواقع أنني .. وقعت على الدرج » . كان العميد

يذرع الحجرة ، وقد ظهر في قمة انفعاله «إسمع هذا جيداً يا توماي .. لست متزمتاً ، بل إنني أميل إلى رفع الكلفة بين الأساتذة والطلبة ، وتوطيد صلات الصداقة بينهم . وهكذا لا يوجد لدي اعتراض في أن تقدم لهم بعض حيلك المسلية ولكن في بيتك وليس هنا .. لا أريد للصحافة أن تبدأ موجة الاستاذ الطائر ، بعد موجة الطبق الطائر .. إذا اتصل بك ذلك الصحفي أو غيره ، أرجو أن يحظوا منك بتكذيب لهذه الأراجيف .. »

قال روجرز وهو يهز رأسه « أدرك هذا يا سيدي العميد » .

فاستطرد العميد «أرجو أن تجتاز بنا هذه الأزمة دون أضرار حقيقية .. كما أنه عليك ألا تعود إلى هذا مرة ثانية .. وإذا سمعت ان هذا حدث مرة ثانية ، فاعلم أن عليك أن تقدّم فوراً استقالتك .. هل تفهمني جيّداً يا دكتور توماي ؟.. »

* * *

عندما عاد مورتون بروجرز إلى مكتبه ، أغلق الباب جيداً ، ثم التفت إلى روجرز وهو يقول هامساً . « يا لله .. هل لهذا صلة بالخطابات التي أرسلتها تستفسر عن التحليق بالجسد ؟ . » كانت أعصاب روجرز قد بدأت تفلت منه فقال بشيء من الضيق «ألا يبدو الأمر واضحاً ؟. لقد كنت أشير إلى تجربتي الشخصية !.» .

كادت مقلة مورتون أن تخرج من محجرها وهو يقول «أنت ؟.. تستطيع أن تطير ؟ ! . أعني أن تحلق بجسدك .. » ، لم يزد روجرز عن أن أومأ برأسه إيجاباً .. وساد صمت قصير ، ثم قال مورتون وكأنه قد تذكّر شيئاً «هل حدث أن رأتك السكرتيرة السابقة ، الآنسة هارواي ، وأنت

ترتفع بجسدك ؟ .. » . قال روجرز « حدث ذات مرة .. كانت حادثة مفاجئة .. » ، قاطعه مورتون قائلاً « الآن فقط فهمت سر تلك الحالة الهستيرية التي أصابتها .. لقد جاءت إليّ تقول إنك قفزت إليها .. لقد كانت تتكلم كما لو كنت قد حاولت أن ... » تلعثم مورتون ثم استطرد « بالطبع لم أصدقها .. لقد كانت سكرتيرة ممتازة .. نعم ، ولكن بالتأكيد لم تكن من النوع الذي يثير إعجاب الرجال ويفتح شهيتهم .. إذاً .. إذاً أنت تطير بجسدك ؟.. » .

قال روجرز « نعم » ، هزَّ مورتون رأسه بحيرة وهو يسأل « ولكن .. كيف تفعلها ؟ » . قال روجرز « هذه هي مشكلتي .. لا أعرف كيف ؟ . » . قال مورتون بابتسامة خبيثة « بالطبع أنت لا تنكر قوانين الجاذبية .. » . قال روجرز وهو ينظر إلى الفضاء « أتعلم .. لقد بدأت أشك .. أو على الأقل بدأت أؤمن بوجود الجاذبية المضادة حولنا .. في مكان ما .. » .

جلس دكتور مورتون إلى مكتبه وهو يقول « دكتور توماي .. إنني مصرّ على أن تأخذ إجازتك من الآن ، لا تنتظر إلى شهر يونيه .. أنت تحتاج إلى راحة حقيقية .. لا تقلق سأتولى محاضراتك عنك .. أنت بالفعل تحتاج إلى راحة حقيقية .. لقد أجهدت نفسك مؤخراً يا بني » ، قاطعه روجرز قائلاً بعصبية « لكني أستطيع فعلاً أن أحلّق بجسدي ، أنت تريد أن تتخلّص مني لأنك لا تصدقني » .. قال مورتون وهو يقبل ناحيته ويربت على كتفه « أنت تثير نفسك بلا ضرورة .. دعني أبحث عن أحد يأخذك إلى البيت » . فصاح روجرز بأعلى صوته « ولكني أقول لك إنني أستطيع التحليق بجسدي» .. فاحمرَّ وجه دكتور مورتون وقال

« إسمع يا توماي .. دعنا نمتنع عن مناقشة هذا الموضوع ، فبالنسبة لي ، لن أهتم حتى إذا طرت أمامي هنا .. الآن » . قال روجرز همساً « أيعني أنك لن تصدق حتى لو رأيت ..؟» . قال مورتون بحزم « التحليق بالجسد ؟.. بالطبع لا .. إذا رأيتك الآن تطير .. فسأذهب على الفور إلى طبيب عيون أو إلى طبيب نفسي .. أفضل عندي ألف مرّة أن أتهم بالجنون من أن أنكر أحد القوانين العلمية الثابتة ..» .

* * *

كان الطبيب النفسي ، دكتور سيرل ، يجلس في حجرة الاستقبال بمنزل روجرز عندما عاد إلى منزله . كان الطبيب يشعل غليونه عندما دخل روجرز إلى حجرة الإستقبال . قال الطبيب « أهلاً يا روجرز ماذا جرى ؟.. هل اعتزلت الجنس البشري ؟. لم أسمع صوتك منذ أكثر من شهر ..» .

لم يجب روجرز بل نظر إلى زوجته جين التي كانت تجلس غاطسة في مقعدها ، وقد ظهر عليها الإرهاق الذي لازمها خلال الأسابيع الأخيرة ، ثم قال لها متهماً « لماذا جئت به إلى هنا ؟.» . فصاح الطبيب سيرل « عندك .. عندك يا رجل .. لم يأت أحد بي إلى هنا .. لقد التقيت بجين في المدينة هذا الصباح ، فدعوت نفسي إلى بيتك لأراك» .. فقالت جين مقاطعة « آسفة يا روجرز إذا كنت لا توافقني على تصرفي .. لكني كنت مضطرة إلى أن أجد واحداً يصدقني إذا ما تحدثت إليه في الموضوع » . قال روجرز « وما الذي جعلك تظنين أنه سيصدقك ؟ . قل لي جيم هل صدقت حكايتها ؟.» .

قال جيم سيرل «إنه ليس من الأمور التي يسهل تصديقها .. أنت تعلم ذلك جيداً .. ولكنني أحاول» . فعاد روجرز ليقول معانداً «وهو كذلك لنفترض أنني طرت .. افترض انني حلّقت بجسدي هنا والآن .. ماذا ستفعل ؟.» قال سيرل جاداً «ربما أغمي عليَّ .. وربما انفجرت بالضحك .. لكن لماذا لا تجرّب ، حتى نرى ما سيحدث ؟.» .

بدون كلام ارتفع روجرز بمقدار قدمين عن الأرض ، وبقي معلّقاً في الهواء ، وقد تدلت قدماه إلى أسفل ، رافعاً ذراعيه إلى جانبه برشاقة وهو يقول «أفضل من أي راقص باليه أليس كذلك يا جيم ؟!.» .

لم يظهر على الطبيب سيرل أي رد فعل من ردود الفعل التي عدّدها .. غير أنه مال إلى الأرض يلتقط غليونه الذي سقط منه دون أن يدري . هبط روجرز بشكل عملي ، ثم جلس في مقعد قريب من سيرل وهو يقول «لقد أرسلت الخطابات إلى عدة علماء موثوق بسمعتهم ، شرحت لهم القصة بطريقة موضوعية ، وطلبت منهم أن يهتموا بدراسة الأمر علمياً ، لكن معظمهم تجاهل الخطابات . بل وكتب أحدهم إلى رئيس القسم دكتور مورتون ، يسأله ما إذا كنت مجنوناً أم ملتاثاً» ، فهمست جين متألمة «أوه ا. روجرز .» .

قال روجرز مستطرداً بل الأكثر من هذا .. لقد قال لي مورتون أنه لن يصدقني ، حتى لو رآني أحلّق في الفضاء . وطلب مني أن آخذ إجازة طويلة .. قل لي يا جيم ، فأنت طبيب نفسي ، لماذا لا يصدقونني ؟.» .

قال سيرل بعد تفكير وهو يضغط على كلماته «ربما كانت هذه الاستجابة نوعاً من حماية الذات .. فالناس لا يسعدون بما لا يفهمون ..

لهذا فقد نظر الناس على مدى التاريخ إلى الظواهر الخارقة للطبيعة على أنها نزعات سحرية شريرة .. وهم ما زالوا كذلك .. إذا حاولت أن تثبت لهم بالدليل القاطع صحة التحليق بالجسد ، فإنهم سيصابون برعب قاتل إذا ما أحسّوا أن الحقيقة الغريبة عليهم ستقحم على منطقهم .. هذه هي الحقيقة وعلينا أن نعترف بها ونواجهها .. قال روجرز مقاطعاً بحدة «ولكنهم ليسوا أناس ، إنهم علماء» . أجاب سيرل «العلماء أناس أيضاً» ..

مرّت فترة صمت قال بعدها روجرز باندفاع «لكن كما رأيت ها هي حقيقة واقعة تحدث أمام الجميع ، تفيد أن بالإمكان التغلب على الجاذبية الأرضية .. لماذا لا ندرسها ؟. أليس من المحتمل أن نكتشف عن طريق ذلك الجاذبية المضادة ؟.. تصوّر أي تقدم ممكن أن تحرزه البشرية ، إذا ما توصلت إلى هذه الحقيقة ..» .

قال سيرل «مهلاً يا روجرز .. لماذا أنت منزعج من اكتشافك هذه المقدرة ؟. لقد انزعجت حتى قبل أن ترى رد فعل ذلك على غيرك ..» قالها وهو ينظر إلى جين التي قالت «فعلاً هذا هو ما حدث» . فقال روجرز «وماذا في هذا ؟. لقد بدا الأمر مرعباً .. فحتى الآن أنا لم أصل إلى فهم ما يجري» ..

«بالضبط» . قالها الطبيب وهو يرفع يده «إن الأمر مخيف لأنه غير مفهوم .. أنت تخاف لأنك لا تفهم الظاهرة وتراها متناقضة مع كل ما تعرف .. وهم يرفضون الظاهرة لأنها تتناقض مع حقيقة علمية ثابتة تقوم عليها معارفهم» .. فقال روجرز «أنت مخطىء يا جيم .. فتاريخ العلم حافل بالمعارف التي تهدم الأفكار العلمية الثابتة .. وجود النشاط الإشعاعي ..

تفتيت الذرة .. لقد كانت هذه الحقائق من قبل مستهجنة ، تماماً كما يستهجن الآن التحليق بالجسد» ..

قال سيرل «لا .. الأمر مختلف هنا .. النشاط الإشعاعي ظاهرة موضوعية ، يمكن تناقلها وتكرارها . وأنبوبة كروكس يمكن أن يبنيها في المعمل أي عالم في أي مكان في العالم .. ولكن على سبيل المثال هل تستطيع أن تعلمني كيف أحلّق أنا بجسدي في الهواء ؟.» . قال روجرز «بالطبع لا ..» استطرد سيرل «وهذا هو مصدر رعب العلماء ورفضهم الاقتراب من الظاهرة ..» قال روجرز «ولكنهم يا جيم لم يحاولوا ..» قال سيرل «ذلك لأن ظاهرتك واحدة من مجموعة ظواهر يرفضون أخذها مأخذ الجد .. التخاطر والرؤية عن بُعد ، والقدرة على تحريك الأشياء بإرادة العقل .. وغيرها من عشرات الظواهر الباراسيكولوجية .. لقد أزعجت تجارب دكتور رين عن الحاسة السادسة ، عدداً من أكبر العلماء ، أكبر من أولئك الذين اهتموا بهذه التجارب .. أترى .. انهم لا يحتاجون إلى دراسة الظاهرة حتى يتأكدوا من أنهم يرفضون دراستها .. إنهم يعلمون ذلك مسبقاً ..» .

قال روجرز يائساً « هذا أمر مضحك .. العلماء يديرون ظهرهم للحقائق . وأنت تجلس هادئاً في مكانك تدخن غليونك وتغرقني بآرائك .. كل ما أريده أن أتوصل إلى مجموعة من الباحثين تجري عليّ تجاربها وأبحاثها .. لقد حاولت وفشلت .. وتعبت .. » قال سيرل بحماس «كل ما حدث أن اقترابك المباشر الصريح معهم قد فشل .. لماذا لا تفكر في طريقة أخرى . ؟ » قال روجرز بضيق « ماذا تريد أن أفعل معهم أرشوهم ؟ .

أهددهم ؟. أبكي أمامهم ؟.» ..

نهض الطبيب سيرل من مقعده وهو يقول «إفعل بالضبط ما قاله دكتور مورتون .. خذ إجازة .. وإلى الجحيم كل ما يتصل بتحليق الجسد .. نم جيداً سواء طرت أم لم تطر .. وفكّر في طريقة تجعل العلماء مرغمين على دراسة ظاهرة يرفضون دراستها » .. غرق روجرز في تفكير عميق ، بينما تهيأ سيرل للانصراف .. وقبل أن ينصرف سيرل قال روجرز وهو ما زال ينظر إلى الأرض «قد تكون على حق يا سيرل سأحاول ..» .

* * *

جلس روجرز توماي في الصف الأخير من المدرج .. تفصله عدة صفوف عن جمهور حلقة البحث التي تقام كل ربيع في مدينة سيتل ، ويحتشد لها جمع من العلماء .. بينما كان دكتور ليانس ديرنج رئيس الحلقة يلقي كلمة الافتتاح فوق المنصة .. دكتور ليانس ديرنج من جامعة برنستون ، الذي كان قد وصف روجرز بالجنون في خطابه لدكتور مورتون رئيس القسم ..

من مكانه البعيد ، أخذ روجرز يتفحص ديرنج بعينيه ، متوسط الطول .. لونه أسمر قليلاً ، شعره البني المتموّج يغطي رأسه . أما فمه الكبير ، بشفتيه الرقيقتين ، فيبدو وكأنه على وشك الابتسام ، هذا عندما لا يكون الدكتور منهمكاً في الحديث . كان حديثه سريعاً متدفقاً .. يتحدث دائماً من موقع التفوّق الذي يرتضيه له دائماً مستمعيه .

فجأة ، لاحظ الموجودين أن حديث دكتور ديرنج بدا مفكّكاً .. حتى توقف تماماً في وسط جملة ضعيفة التركيب ، ثم رفع يده وقال

بحدَّة وضيق «أنت هناك .. أنت ! .» .

كان دكتور توماي يجلس في آخر المدرج باسترخاء .. على الهواء ! . كانت المسافة بينه وبين أقرب مقعد تزيد عن قدمين ونصف . وبمجرد أن رأى دكتور ديرنج يرفع يده ، وقبل أن يتكلم ، عاد بسرعة إلى مقعده في المدرج .. وعندما التفتت إليه عيون المشاركين في حلقة البحث ، كان يجلس بهدوء في مقعده وقد ظهرت عليه البراءة الكاملة .. تلفَّت روجرز يميناً ويساراً ، ثم نظر إلى اصبع ديرنج الموجه إليه ، وسأل « هل تتحدث إليَّ أنا يا دكتور ديرنج ؟ » .

صاح دكتور ديرنج « ما هذا الذي تفعله ؟ . » كان بعض جمهور حلقة البحث قد نهض الآن واستدار ليتابع الحوار . قال روجرز « أنا لا أفهمك يا دكتور .. أنا لا أفعل شيئاً .. » انفجر دكتور ديرنج وقد فقد أعصابه « أخرج من هنا ! . غادر هذه القاعة على الفور ! . » من خلال ابتسامة ساخرة قال روجرز بصوت ثابت ومرتفع بحيث يصل الجميع « أنا الأستاذ روجرز توماي من كلية كارسون .. وأنا عضو في اتحاد علماء الطبيعة بأمريكا . وقد تمَّ قيدي عضواً بهيئة الحلقة الدراسية ، وقد قمت بدفع الرسوم اللازمة .. ووجودي هنا حق مكتسب أتمسك به .. » .

لم يجد ديرنج رداً على هذا سوى أن صاح « أُخرج من هنا ! . » فقال روجرز بشيء من الغضب « بأي سبب ؟ .. وما الذي فعلته ؟ » . مرّ دكتور ديرنج على شعره بيده .. لم يجد ما يجيب به على السؤال . فانتهز روجرز الفرصة وقال « إذا صمّمت على إبعادي عن هذه الحلقة ، فسأُضطر إلى مقاضاتكم .. » .

بكل الإحباط والغيظ قال ديرنج للحاضرين «أيها السادة أعلن انتهاء الجلسة الافتتاحية من حلقة البحث حول الإنجازات الحديثة في العلوم الطبيعية .. سيكون اجتماعنا غداً في هذه القاعة في تمام .. » . وبهدوء انصرف روجرز من القاعة قبل أن ينتهي ديرنج من كلامه .

في المساء سمع روجرز نقرات على باب حجرته في الفندق . وعندما فتح الباب رأى أمامه دكتور ديرنج ، فقال « مساء الخير يا دكتور .. » ، ودون أن يتكلم ، تقدم دكتور ديرنج وأغلق الباب خلفه وهو يقول « والآن ما هو الموضوع ؟ .. ما الذي تسعى إليه ؟ .. » قال روجرز « لا أفهمك .. » فقال ديرنج بتصميم « بل تفهم .. هل تريد أن أظهر بمظهر المجنون ؟ .. ما الذي تفعله ؟ أرجو أن تجيب على هذا أو تغادر المدينة .. » قال روجرز غاضباً « بروفسور ديرنج هذه هي حجرتي .. إذا كنت قد جئت هنا لإهانتي فإني أطالبك بالانصراف .. وإذا لم تفعل ، طلبت من يرغمك على هذا .. » .

قال دكتور ديرنج في محاولة لتهدئة الجو « ألست أنت روجرز توماي الذي أرسل لي خطاباً بشأن ظاهرة التحليق بالجسد التي تريد بحثها علمياً ؟ . » قال روجرز « أي خطاب تعني ؟ .. » قال ديرنج بحدة « هل تنكر هذا أيضاً ؟ .. » أجاب روجرز « بالطبع .. أي خطاب ؟ .. هل لديك الآن خطاب مني ؟ » . صمت ديرنج قليلاً ثم قال « دعك من هذا .. هل تنكر انك كنت تحلق بجسدك أثناء كلمتي بالقاعة ؟ .. » قال روجرز مبتسماً «رأيتني أطير بجسدي ؟ هل هذا ممكن يا دكتور ؟ أعتقد أن معرفتك بقوانين الجاذبية كافية لكي تؤكد لك أن التحليق بالجسد مستحيل ..

هل تريد أن تسخر مني ؟! . » صاح ديرنج ويده ترتعش من فرط الانفعال « يا للسماء .. لماذا لا تخبرني بالحقيقة ؟ ؟ .. » .

قال روجرز بهدوء راسماً تعبير اندهاش على وجهه « أنا أقول الحقيقة يا دكتور .. هل تريد أن تقول إنه بإمكاني أن أرفع ذراعي هكذا ثم بقوّة سحرية .. أرتفع في الفضاء » . وأثناء حديثه كان روجرز يرتفع بجسده فعلاً حتى لامس رأسه سقف الحجرة .. ارتفع رأس ديرنج إلى أعلى وهو يقول « آه ها ! .. ها هو ! . » وعاد روجرز إلى الأرض وهو يقول بهدوء راسماً ابتسامة رقيقة على شفتيه « لا أظنك جاداً يا دكتور .. أنا ؟ ؟ أطير ؟ ! . » .

صاح ديرنج وقد بدأ يفقد أعصابه « لكنك حلّقت بجسدك الآن .. لا يمكن أن تنكر ذلك .. » . قال روجرز بصوت حنون « دكتور ديرنج أنت لا شك مريض .. لا بد أن تنال قسطاً من الراحة قبل .. » . قاطعه ديرنج صارخاً « لم تكن هلوسة .. لم تكن هلوسة .. » فقال روجرز « إذاً فاسمح لي أن أقدّم لك كأساً .. » مضى روجرز إلى حقيبته ، وقدماه ترتفعان عن الأرض بعدة بوصات ، بينما جحظت عينا ديرنج ، حتى كادتا أن تخرجا من محجريهما ..

عاد روجرز وقدّم كأساً لديرنج ، الذي جرعه دفعة واحدة ثم قال بلهجة رقيقة « أرجوك .. قل لي .. هل اكتشفت طريقة لموازنة الجاذبية الأرضية ؟ » . قال روجرز وهو يرفع حاجبيه باندهاش « دكتور ديرنج ؟ .. لو أنني توصلت إلى الجاذبية المضادة هل تتصوّر أنني سأستغلها في معابثتك ؟ . كنت سأتجه فوراً إلى واشنطن .. كنت أصبح سراً عسكرياً

خطيراً ! . » .

نهض ديرنج وهو يقول « هل تنوي أن تستمر في جلسات حلقة البحث حتى النهاية ؟ . » . قال روجرز مبتسماً بانتصار « طبعاً » . وبلا كلام انصرف دكتور ديرنج على عجل ...

* * *

غاب دكتور ديرنج عن جلسات الحلقة لمدة ثلاثة أيام متتالية .. وبدأ روجرز يحس بخيبة أمل ، فقد كان يطمع في أن يصل به إلى أبعد مما حدث .. وعند عودة روجرز مساء إلى حجرته بالفندق ، وجد في حجرته مفاجأة .. دكتور ديرنج مع شخص آخر . وقد بدأ ذلك الغريب حديثه مخاطباً روجرز الذي بقي واقفاً في فتحة الباب « إدخل يا توماي » ، قال روجرز غاضباً « ما الذي يجري هنا ؟ . » ففتح محفظة وقرّبها من روجرز « أنا كانون من الإف . بي . أي .. » . قال روجرز « هل تطلب القبض عليّ ؟ . وبأي جريمة ؟ . » .

نهض كانون قائلاً « رويدك .. إننا فقط نجمع عنك بعض التحريات يا توماي .. هل هذا هو توقيعك ؟ . » كان يحمل في يده الخطاب الذي كان روجرز قد أرسله إلى ديرنج والذي كان ديرنج قد أرسله إلى دكتور مورتون . أجاب روجرز « نعم .. » فأخرج كانون مجموعة خطابات أخرى .. جميع الخطابات التي كان قد أرسلها إلى العلماء من قبل ، وسأل « وهذه أيضاً ؟ . » . قال روجرز بصوت خفيض « كلها خطاباتي » .. قال كانون « لقد أخبرنا دكتور ديرنج أنك تستطيع أن تطير في الهواء » . فقال روجرز على الفور « وهل تصدّق هذا التخريف ؟ » . قال كانون غاضباً

«لست هنا لكي أصدّق وأكذب .. أنا مندوب أعلى جهاز للأمن في الولايات المتحدة ، وأمامي مهمة لا بدَّ من إنجازها .. وإذا كنت في مكانك لآثرت التعاون .. » .

«وكيف أتعاون في شيء كهذا .. إذا جئت إليك وقلت إن دكتور ديرنج يستطيع التحليق في الفضاء ، لا شك انك ستدفع بي إلى أريكة الطبيب النفسي على الفور» .. فقال كانون بهدوء «بالفعل ، جرى فحص دكتور ديرنج على يد عدد من الأطباء النفسيين ، وبناء على طلبه .. ويهمني أن تعرف أننا قد قمنا بتحرياتنا الواسعة ، فقرّر عدد من الطلبة بالإضافة إلى سكرتيرة سابقة في كليتك أنك قد طرت أمامهم في الهواء . » . هنا تدخل دكتور ديرنج في الحديث قائلاً لروجرز بتعاطف «دكتور توماي ، ما الذي تفيده من إنكار قدرتك على التحليق بالجسد ؟ . » . بعد فترة صمت قصيرة ، قال روجرز «وهو كذلك دعنا نفترض أنني أستطيع التحليق بجسدي فعلاً .. ولنفترض انني لا أعرف كيف يحدث هذا .. وليس لدي أي نوع من التفسير أقدّمه إلى السلطات سوى جسدي ومشكلتي التي لا حلَّ لها .. » ، فقاطع ديرنج قائلاً برقَّة «ومن أين عرفت أنه لا حلَّ لها .. » فقال روجرز «لقد طلبت منك يوماً أن تدرس هذه الظاهرة فرفضت واتهمتني بالجنون والغش .. » قال ديرنج «فلننس ذلك .. إسمع يا دكتور توماي .. إنني أعرض عليك الآن وظيفة أستاذ مساعد في الطبيعيات بكليتي .. ستكون واجباتك كمحاضر شكلية ، وستتفرَّغ كلية للمساعدة في بحث ظاهرة تحليقك بجسدك .. » .

ابتسم روجرز وهو يقول «العرض مغرٍ .. » ، فاستطرد ديرنج وهو

ينظر إلى كانون بطرف عينه «ولا أعتقد أنني أبوح بسر إذا قلت لك إن الدولة خصّصت ميزانية مفتوحة لحساب هذا البحث ..» . فقال روجرز « وهذا يتطلب أن أعترف فقط بأنني أستطيع التحليق بجسدي .. » فقال ديرنج برجاء «أعرف انك تستطيع .. لقد رأيتك بنفسي ، وأريدك أن تفعل ذلك أمام السيد كانون .. » . تحرّك ساقيّ روجرز إلى الأمام وأصبح جسمه معلقاً بشكل أفقي في الهواء . سقطت قبعة كانون وهو يرفع رأسه ليشاهد ما يفعله روجرز ، أما ديرنج فقد أخذ يصيح « إنه يطير .! إنه يطير !. هل رأيت ؟!. قل هذا للمسؤولين .. ضعه في تقريرك .. هل تسمعني ؟. قل لهم انني لست مختلاً ! . » .

* * *

كان روجرز مشغولاً بوضع مراجعه في الصناديق ، تمهيداً لانتقاله مع زوجته إلى مدينة سيتل حيث وظيفته الجديدة ، عندما دخل عليه صديقه دكتور سيرل وهو يقول «ما هذا ؟» لم يسمح لي رجل الأمن بالدخول إلا بعد أن عرف شخصيتي » .. فقال روجرز « لقد حدثتهم عمّا جرى بيننا . » . قال سيرل «أعلم فقد زاروني ، وطالبوني بالتكتم حول الموضوع ، فقلت لهم إن هذا أمر طبيعي ويدخل أيضاً في أسرار المهنة » .. وصمت فترة ينظر إلى روجرز ثم قال « لكن قل لي ماذا حدث بعد أن كنا معاً ؟. » .

وقف روجرز ساكناً في مكانه للحظات ، وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيه ، ثم جلس على مقعد قريب من سيرل وهو يقول « كما تعلم .. كان دكتور ديرنج يتهمني بالخبل .. والعميد يقول إنني أقدّم ألاعيب ..

ودكتور مورتون يقول إنه إذا حدث ورآني أطير فسيتهم نفسه بالجنون ..
لهذا وبعد حديثك معي .. وضعت برنامجاً لراحتي ، خرجت منه بضرورة
تغيير التكتيك .. ذهبت إلى حلقة البحث التي ينظمها دكتور ديرنج ،
ولم أقل له إني أطير .. بل طرت أمامه ، ثم أنكرت انني أستطيع الطيران ..
وأصبح الوضع كالآتي .. اما انني أكذب بإنكاري هذا أو أنه فقد عقله ..
وهكذا أصبح عليه ، إما أن يؤمن بظاهرة التحليق بالجسد ، أو أن يعترف
بأنه فقد عقله .. ومن هنا كان تحركه .. وذهابه إلى واشنطن .. والوظيفة
المغرية التي عرضها عليّ .. وميزانية البحث التي حصل عليها .. كل هذا
كان سبيله إلى إثبات سلامة عقله هو !.» .

قال سيرل «وبكلمات أخرى .. لقد جعلت من ظاهرة تحليقك
مشكلة تخصه هو ، وليس مشكلة تؤرقك أنت» . فضحك روجرز قائلاً
«لقد نجحت في أن أجعلهم يساعدونني» .. فقال دكتور سيرل «بل
قل إنك أتحت لهم أن يمكّنوك من مساعدتهم .. » .

صفحة فارغة

روائع قصص الخيال العلمي

تضم هذه السلسلة :

مغامرة على كوكب الزهرة
محنة النجم الأسود
سفينة الفضاء الملعونة

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى - ت ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤-هاتف : ٣١٥٨٥٩-٨١٧٢١٣-فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)